



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الوادي

قسم اللغة والأدب العربي

كلية الآداب و اللغات

الحجاج عند العرب بين القدامى والمحدثين

ابن وهب و طه عبد الرحمان "دراسة مقارنة"

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي (ل.م.د)

تخصص: لسانيات عامة

تحت إشراف :

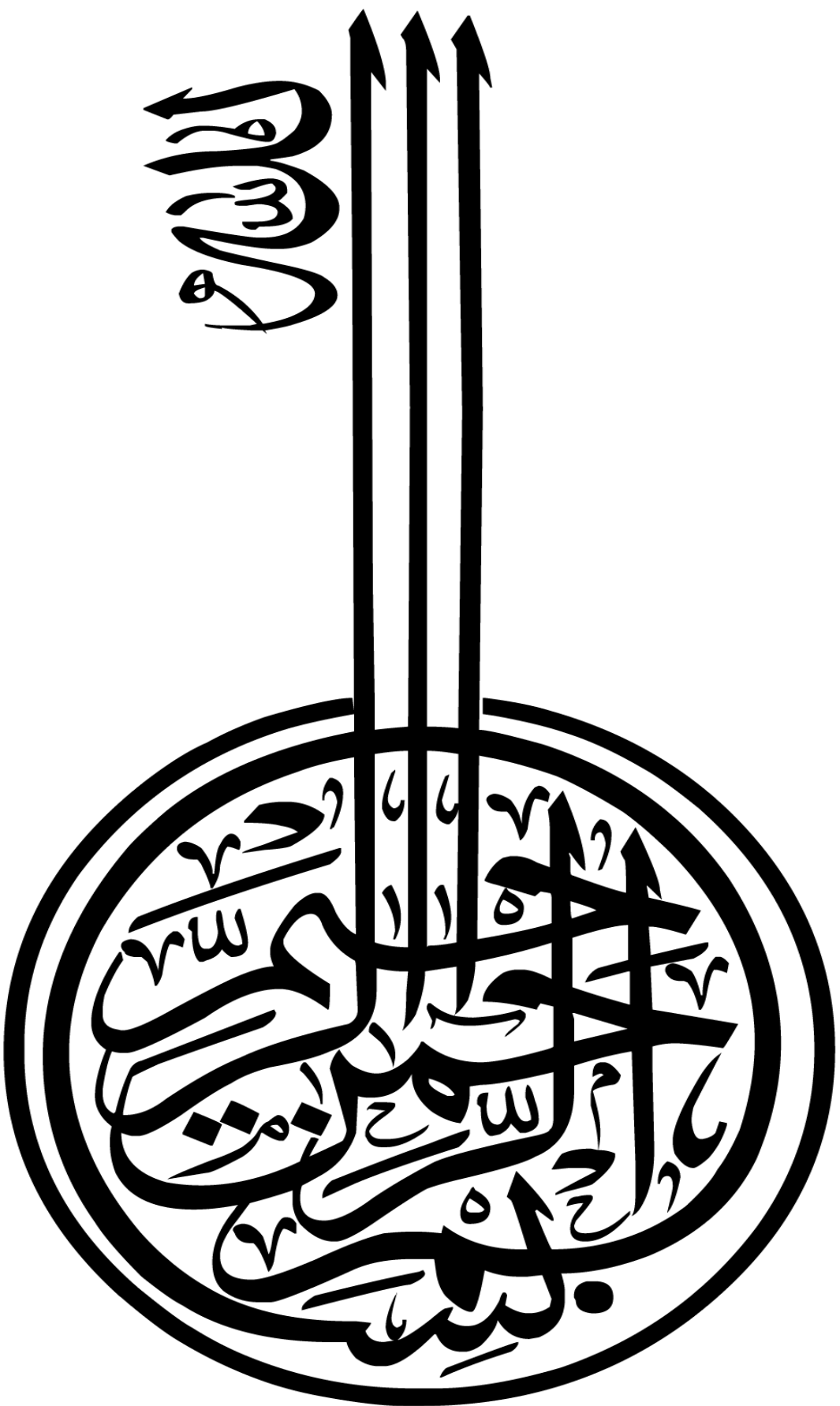
- محمد عطالله

إعداد الطالبتين :

- زينب بحير

- فاطمة دامون

السنة الجامعية: 1438-1439هـ/2017-2018م

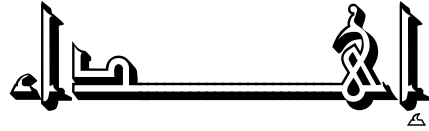


قَالَ تَعَالَى: اَعُوذُ بِاللّٰهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

﴿ هَتَأْنْتُمْ هَؤُلَاءَ حَبَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّوْنَ

فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللّٰهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

آل عمران: 66



أهدى ثمره جهدي إلى _____ من شاركوني
 حلو الحياة ومرها إلى من دفعوني

قدما نحو الأمام لنيل المبتغى إلى ينبوع الصبر والتفاؤل والأمل إخوتي الأعزاء-منصور - عبد العزيز - محمد الصالح - نور الدين إلى الأخت التي لم تلدها أُمِّي عائشة التي كانت لي عوناً في مشواري إلى دزيرية ومريم وإلى أخواتي عائشة - مريم - ساسية - آمنة- وصفية وإلى أبناء اخوتي وزوجاتهم إلى سالم - أيمن - أحمد طه - أمجد - أشرف بلقاسم - أحمد هاشم -عثمان -الطيب عبد الرزاق -الطاهر -ياسين - إلى أبناء أخواتي كل باسمه.

إلى الروح التي سكنت روحي روح والدي الطاهرة الزكية رحمهم الله

إلى توأم روحي ونور عيني إلى من يرتاح القلب لرؤيتهما بناتي وآمل وأسماء

إلى كل الأهل والأحباب

إلى أستاذي المشرف عطا لله محمد الذي كان لنا موجهًا ومرشدًا في مشوارنا هذا

إلى الذين مهدوا لي طريق العلم والمعرفة إلى كل من علمني حرفا ولقني درسا أساتذتي الكرام

إِلْ مِنْ أَحْبَّهُمْ قَلْبِي وَلَمْ يَنْطَقْهُمْ لِسَانِي وَلَمْ يَدُونْهُمْ قَلَمِي

إِلَى كُلِّ مَنْ مَدَّ لِي يَدَ الْعَوْنِ مِنْ قَرِيبٍ وَمِنْ بَعِيدٍ

زینب بحیر

الإهداء

إلى من قدمها الله و جعل الجنة تحت أقدامها أُمي الغالية رحمها الله

إلى من هو سندي و عزوتي في هذه الدنيا أبي الفاضل حفظه الله

إلى قرّة عيني بناتي حورية – وفاء – دعاء

إلى كل أفراد أسرتي

فاطمة دامون

شكر و عرفان

قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ

رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ سورة النحل، الآية 18

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ ﴾

الأحقاف: 15

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد صلى الله عليه وسلم .

لا يسعنا ونحن في هذا المقام إلا أن نحمد الله حمدا كثيرا طيبا مباركا على توفيقه لنا على تمام

هذا العمل المتواضع، و الذي نرجو أن يعود بالفائدة على الباحثين من بعدنا، ثم نتقدم بخالص

الشكر والتقدير للأستاذ الفاضل **محمد عطا الله** الذي كان معينا لنا طيلة إعداد هذا البحث ،

و الذي لم ييخل علينا بتوجيهاته، راجين من الله أن يجعلها في ميزان حسناته .

كما نتقدم بفائق الشكر و التقدير لجميع **أساتذة قسم اللغة العربية** بجامعة الشهيد

حمه لخضر بالوادي، الذين أعانونا وعلمونا و وجهونا طيلة مشوارنا الدراسي .

و إلى كل من ساعدنا من بعيد أو قريب من زملاء و مكتبة **عيساوي** الذي مدّ لنا يد العون

لإتمام هذا العمل كاملا متكاملا ، فجزاهم الله عنا جميعا خير الجزاء

مقدمة

الحجاج ليس حكرًا على الثقافة اليونانية ، ولم ينتقل إلى الشعوب أخرى عن طريقها، بل هو صفة جُبل عليها الإنسان بوصفه كائنًا اجتماعيًا ، وإذا كان الحجاج في التراث الغربي قد نشأ من المنازعات وُبني عى أسس ديمقراطية فإن الحجاج العربي نشأ في أحضان الشعر العربي، والخطابة العربية في عصر ما قبل الإسلام وجاء القرآن الكريم ليرسخ تلك الصفة عند العرب، وأولاه العرب عناية كبيرة، فلا تكاد تخلو كتب التراث العربي الاسلامي من تداول مصطلح الحجاج أو الاحتجاج أو الحاجة، ولا سيما في المسائل ذات الطابع الفكري والفلسفي التي يكثر فيها الخلاف ووجهات النظر والتأويل فهو يستعمل في اللغة والبلاغة والنحو والفقه والأصول والفلسفة والمنطلق، وعلم الكلام والمناظرات، والمسامرات، وعلوم التفسير، وفي كل مجالات الحياة اليومية، ولذا يمكن القول أن الحجاج كان يضرب بجذور قوية وعميقة في الخطاب العربي بكل أنواعه.

أما في وقتنا الحاضر قد أصبح الحجاج قبلة الدارسين في مختلف الفنون والتخصصات وذلك لقدرته على مقارنة مختلف الخطابات العلمية والإنسانية والثقافية حتى أصبح عصرنا الحالي حقيقاً أن يوصف بالعصر الحجاجي والجدال والإقناع والتأثير والحوار، خاصة مع تطور وسائل الإعلام التي أسهمت في اشتداد الخلافات ما جعل الحاجة ماسة إلى الحجاج والإقناع والجدال والتأثير، كون الحجاج في الأصل سبيل العقل والمنطق والحوار البناء، والجدال الحسن، والاختلاف الحميد، كما أنه وجه من وجوه التداولية الحديثة في تحليل الخطاب .

واستناداً على ما سبق جاءت فكرة الجمع بين مذهب القدامى ومذهب المحدثين، في الحجاج عند العرب بين القدامى و المحدثين ابن وهب وطه عبد الرحمن "دراسة مقارنة" لمعرفة قيمة ما قدمه القدامى و المحدثين، ومن هنا كان التساؤل المثار:

- ما هي الخلفيات المعرفية والنظرية بين حجاجية ابن وهب كترعة منطقية وبين الحجاج عند طه عبد الرحمن ؟

- ما هي حقيقة الحجاج عند ابن وهب وطه عبد الرحمن ؟

وتنبثق من هذه الإشكالية جملة من التساؤلات :

- ما طبيعة الحجاج عند القدامى ؟
- وهل استطاعوا في المفهوم الحديث التنظير له ؟
- ما هو منطلق الحجاج عند العرب المحدثين ؟
- وهل ما أتوا به امتداد للقدامى أم تجديد ؟

ولتوضيح الأمر انطلقنا من عدة أسباب منها :

- أهمية الدرس الحجاجي وتداخله في جميع أنواع الخطابات .
- محاولة الكشف عن الحجاج عند العرب القدامى في الدرس التداولي الحديث .
- التشابه الحاصل والكبير بين ابن وهب وطه عبد الرحمن في دراستهم للحجاج فضلا عن كونهما اشتغلا بالمنطق والحجاج وأبدعا فيه كل على طريقته ومنهجيته .
- جهود الكاتبين في وضع نظرية حجاجية عربية بإيجاد رابط منطقي لغوي ليطوِّعاه في سبك نظرية تأخذ بقوة المنطق وسلاسة اللغة .

ولتفصيل الموضوع اعتمدنا على خطة بدأناها بمقدمة ثم مدخل أعقبناهما بفصلين اثنين وخاتمة .

تكلمنا في المقدمة عن طبيعة المنهج وبيّنا الإشكالية التي سنحاول دراستها في هذه المذكرة، ثم بينا الخطة التي نسير على خطاها، كما تبيننا المنهج المناسب لدراستنا.

أما المدخل فقد ضم تعريفا معجميا واصطلاحيا للحجاج إلى جانب تحديد علاقة الحجاج بالبلاغة والتداولية، والإقناع، والتواصل .

وانبرى الفصل الأول الذي بعنوان الحجاج عند العرب بداية ببعض المصطلحات الحجاجية ثم دراسة لأبرز أعلام العرب القدامى والمحدثين للحجاج .

أما الفصل الثاني فكان عنوانه: دراسة مقارنة للحجاج وقد حوى هذا الجانب الحجاج عند ابن وهب وطه عبد الرحمن مبرزين أوجه الاتفاق ونقاط الاختلاف من خلال المقارنة .
وانتهى البحث بخاتمة حوت ملخصا لما توصلنا إليه من نتائج .

وقد اتبعنا المنهج التاريخي مشفوعا بالاستقراء في الفصل الأول والمنهج التحليلي الوصفي في فصله الثاني.

أما عن الصعوبات التي واجهتنا فقد تمثلت في سعة الموضوع وشموليته خاصة في تجميع الأفكار وترتيبها، وكذا تداخل الموضوع مع المنطق والفلسفة وجدنا صعوبة المقارنة بين فيلسوف المشرق ابن وهب و فقيه فلاسفة المغرب طه عبد الرحمن .

وقد اعتمدنا في هذا البحث على جملة من أمهات الكتب والمراجع :منها اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، وأصول الحوار وتحديد علم الكلام لظه عبد الرحمن وكتاب البرهان في وجوه البيان لابن وهب وكتاب خطاب الحجاج والتداولية لعباس حشاني و غيرها من المراجع.

وفي الأخير نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف عطا الله محمد الذي سهّل علينا العمل من خلال ملاحظاته وتوجيهاته القيمة .

وأخيرا نتمنى من الله أن يجعل عملنا هذا صائبا ونافعا

مدخل:

1- مفهوم الحجاج:

2- علاقة الحجاج بالبلاغة و التداولية و الإقناع والتواصل:

- الحجاج و البلاغة
- الحجاج و التداولية
- الحجاج و الإقناع
- الحجاج و التواصل

- صحيح أن الحجاج من قرع الحجة بالحجة بمعنى الجدال والمجادلة ضمن ما يمكن أن يسمى بفنّ الجدال العلمي، و هو بهذه الدلالة ممارسة عقلية لفكرة الإقناع، أو تحصين لفكرة الاقتناع وصحيح أن الحجاج لا يكون تأسيساً للخطاب المبني على قواعد وأسس بمعنى أنه لاحق بالتقنيات المعرفية، فهو فرع على أصل معرفي ما قصد التفسير أو التمييز أو التحديد أو النقد أو التحليل، و لكنه في جوهره الصرف روح العلم، ذلك أنه من فروع اللسانيات العامة على أقلّ تقدير، و يمثل صفة الحياة في القانون اللساني على مستوى النحو أو الصرف، أو الصوت، أو المعجم أو التركيب المنشور أو المنظوم أو التداول، و التواصل، أو التحليل، أو البلاغيّ النقديّ للخطاب اللغويّ أيّا كان شكله الأدبيّ ومضمونه التواصليّ أو الفكريّ أو الجماليّ، لأنّ التقنين اللغويّ عندما ينتقل من صفة التجريد إلى صفة التطبيق أو الاستعمال إنّما ينطلق محمّلاً بآليات الدّفاع عن ذاته من الحجج و البراهين التي تكفل أوّل ما تكفل تحقيق صدقية عند واضعه أو مستنبطه، كما تكفل له درجة عالية من الإيمان بالصوابية عند مستعمله، أو الآخذ به¹.

1- مفهوم الحجاج:

أ- لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور مادة (ح، ج، ج) يقال: حاججته أحاجه حجاجا و مُحاجّة حتى حججته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها ... و الحُجّة: البرهان؛ وقيل: الحجة ما دافع به الخصم؛ و قال الأزهري: الحُجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، و هو رجل محاجج أي جدل، و جمع الحُجّة: حُجج و حجاج و حاجة مُحاجّة و حجاجا : نازعه الحُجة و حَجّه يُحجّه حَجًّا : غلبه على حُجّته ، وفي الحديث : فحجّ آدم موسى أي غلبه بالحُجّة .

¹ - حسن خميس الملخ، الحجاج رؤى نظرية و دراسات تطبيقية، عالم الكتاب الحديث، الأردن، ط1، 2015، ص3.

و احتجّ بالشيء اتخذه حُجَّة؛ قال الأزهرى: إنما سميت حُجَّة لأنها تُحجُّ أي تقصد لأن القصد لها و إليها، و الحجة الدليل والبرهان¹.

و يتضح من خلال تعريف ابن منظور أن الحجاج بمفهومه اللغوي مرادف للبرهان. و الحجة هي الدليل و الوسيلة التي يتخذها الخصم لمنازعة خصمه لإثبات رأيه أو دحض حجته.

• و ورد في تعريف الزمخشري :

حجج "احتجّ على خصمه بحجة شهباء و بُحجَّ شُهْب، و حاجَّ خصمه فحجّه، و فلان خصمه مُحجَّوج، و كانت بينهما محاجة و ملاجة"²، و تعني الدليل والبرهان و الوسيلة الي يستعملها الخصم أثناء النزاع .

أما ابن فارس في معجمه مقاييس اللغة يعرف الحجاج بقوله: " يقال: حاججتُ فلانا، حججته أي غلبته بالحجة، و ذلك الظفر يكون عند الخصومة و الجمع حُجج والمصدر حجاج³.

و يتضح من خلال هذا التعريف أن الحجاج هو الغلبة بالحجة عند التنازع و الخصام.

• كما يورد الفيروز أبادي في قاموسه المحيط لفظ الحجة: البرهان، و المحجاج الجدِل، و التحاج التخاصم.⁴

يعني بهذا أن الحجاج هو التخاصم و الغلبة من خلال إيراد الحجج و البراهين.

¹ - ابن منظور، لسان العرب ، ج 2 ، مادة حجج ، دار صادر، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، ص228.

² - أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باس عيون السود، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ/1998م، ج1، ص169.

³ - أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، (دط)، 1399هـ/1979م، ج2 ص30.

⁴ - مجد الدين بن محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان ط8، 1426هـ/2005م، ص183.

- ما نلاحظه من هذه التعاريف أن الحجاج يدور حول معنى الجدل ، كما أن الحجاج مصدر للحجة و التي تعني البرهان والدليل الذي يكون عند الخصومة لإثبات قضية أو إبطالها.

ب- اصطلاحاً:

أما من الناحية الاصطلاحية فقد تعددت تعاريف الحجاج و تداخلت.

- يعرفه أبو وليد الباجي في كتابه المنهاج في ترتيب الحجاج فيقول: " و هذا العلم من أرفع العلوم قدراً وأعظمها شأنًا لأنه السبيل إلى معرفة الاستدلال و تمييز الحق من المحال، و لولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حجة و لا اتضحت محجة و لا عُلم الصحيح من السقيم ولا المعوجّ من المستقيم"¹ يوضح هذا التعريف أن الحجاج علم له مكانته و جذوره و قواعده، فهدفه إثبات الحق من الباطل، و الصحيح من الخاطئ عن طريق إقامة الحجة .

- أما عبد الهادي بن ظافر الشهري فقد ركّز على الآلية اللغوية الأبرز و هي "آلية الحجاج" فهو يجد أن هناك علاقة بين الإقناع و الحجاج، فيقول: "فالحجاج هو الآلية الأبرز التي يستعمل المرسل اللغة فيها و تتجسّد عبرها استراتيجية الإقناع"² ، فيتضح من خلال هذا التعريف أن اللغة هي وسيلة حجاجية.

- و يعرفه طه عبد الرحمان بقوله: " إذ حدّ الحجاج أنه كل منطوق فيه موجه إلى الغير لإفهامه دعوة مخصوصة يحقّ له الاعتراض عليها"³ أي أن الحجاج عبارة عن عملية بين المخاطب والمخاطب حول قضية ما بتقديم حجج من حق المخاطب قبولها أو الاعتراض عليها.

- أما أبو بكر الغزاوي فيعرفه بقوله: "إن الحجاج هو تقديم الحجج و الأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب ، وبعبارة أخرى يتمثل الحجاج

¹ - أبو الوليد الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج، تح: عبد الحميد تركي، دار الغرب الإسلامي، (دط)، (دت)، ص8

² - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط1، 2004، ص456.

³ - طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، المغرب، ط1، 1998، ص

في إنجاز متواليات من الأقوال، بعضها بمثابة الحجج اللغوية و بعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها".¹

تبين من خلال تعريف أبي يكر العزاوي أن الحجاج وظيفته اللغة حيث أنه يؤسس على بنية الأقوال وتسلسلها داخل الخطاب.

نستنتج مما سبق أن الحجاج يؤكد على تسلسلات اللغة يبنى على علاقة تخاطبية يعرض فيها المتكلم قضية مدعومة بسلسلة من الحجج قصد إقناع المستمع و التأثير فيه ؛ إذ من حقه قبول الحجة أو دحضها.

2- علاقة الحجاج بالبلاغة و التداولية و الإقناع و التواصل:

أ- الحجاج والبلاغة :

● تعريف البلاغة

- لغة: تفيد البلاغة في اللغة الغاية و المنتهى، يُقَال: بلغ الأمر، ما يُتوصَّل به إلى الغاية² بلغ الشيء، يبلغ، بلوغاً، و بلاغاً: وصل و انتهى، و البلاغ ما يُتَبَلَّغ به و يُتوصَّل إلى الشيء المطلوب، و البلاغ الكفاية و الإيصال³ و يُقْتَرَن، بقصد التأثير في اعتقادات الغير⁴. والبلاغة "من قولهم بلغت الغاية إذا انتهيت إليها و بلغت عتري، و مبلغ الشيء منتهاه والمبالغة في الشيء الانتهاء إلى غايته، فسُمِّيَتْ بلاغةً لأنها تُنْهِي المعنى إلى قلب السامع فيعلمه⁵.

ما يمكن ملاحظته أن البلاغة في هذه التعريفات تعني الوصول و بلوغ الشيء.

¹ - أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1426/2006، ص16.

² - مجموعة من العلماء، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 1425هـ/2004م، باب الباء،

³ - ابن منظور، لسان العرب، المجلد8، مادة بلغ، مرجع سابق، ص419.

⁴ - طه عبد الرحمان، في أصول الحوار و تحديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2،

2000، ص45.

⁵ - أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين الكتابة و الشعر، تح: علي محمد البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى الباي الحلي، دار الفكر العربي، ط2، (د.ت)، ص12.

- اصطلاحاً: جاء في معجم المصطلحات العربية هي مطابقة الكلام الفصيح لمقتضى الحال، فلا بُدَّ فيها من التفكير في المعاني الصادقة القيمة القوية المبتكرة منسقة حسنة الترتيب، مع توخّي الدقة في انتقاء الكلمات و الأساليب على حسب مواطن الكلام و مواقعه وموضوعاته و حال من يكتب لهم أو يُلقَى إليهم¹.

لم يكتف المعجم تعريف البلاغة، بل تعداه إلى شروط تحقّقها في الشكل والمضمون بتكون أسرة لعقل المخاطبين، فاعلة في قلوبهم، شاملة للمواقف الكلامية التي يقفها المتكلمون. وأضاف معجم المصطلحات العربية إلى الشروط المتقدّم ذكرها شرطاً أهمّ بقوله: و الذوق وحده هو العمدة في الحكم على بلاغة الكلام أمراً نسبياً، و تصبح البلاغة بلاغات.²

● علاقة الحجاج بالبلاغة

علاقة البلاغة بالحجاج علاقة ممتدة و قديمة، بدأت عند اليونان الذين أحلّوا الحجاج من البلاغة محلاً رفيعاً، باعتبار أن البلاغة قادرة على التأثير و الإمتاع والإقناع في آن واحد، باعتبار أن امتلاك التأثير في المتلقي لا يتعلق بالتأثير العقلي و البرهاني فقط، بل له علاقة بجانب الانفعال والعاطفة أيضاً لأن العقل و العاطفة لا ينفصلان(....) فالحجاج شكل من أشكال التواصل والتخاطب والنقاش و الحوار ليس له موضع محدد، و هذا التواصل يتمّ عبر طرائق و أساليب وآليات و تقنيات يتمّ اقترانها من البلاغة و من غيرها، فالحجاج يجد بغيته في كثير من الأساليب البلاغية فيندمج معها خاصة أن مجاله هو المحتمل و المتوقع كما هو الحال مع البلاغة.³

¹ - مجدي وهبة، كامل مهندس، معجم المصطلحات العربية للغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984، ص79

² - محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب، علوم البلاغة والبيان و المعاني، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ط1، 2003م ص9.

³ - باتريك شارل، تر: أحمد الودرني، الحجاج بين النظرية والأسلوب، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2009 ص7، نقلاً عن: آمال يوسف المغامسي، الحجاج في الحديث النبوي دراسة تداولية، الدار المتوسطة للنشر، تونس، الطبعة 1 2016م، ص39.

لا شك في أن علاقة البلاغة بالحجاج إشكال مثير ومعقد اهتم به القدامى قبل المحدثين، ونعني بالقدامى تحديدا فلاسفة اليونان لا سيما أرسطو. وأعاد المحدثون طرح الإشكال مستنديين إلى ما وصلهم من أفكار و آراء، متفقين حول فكرة أن القدامى لم يخطئوا حين جمعوا في مجموع واحد بين البلاغة والعناصر العقلية للحجاج بمكوناته الوجدانية والجمالية، أي أن الحجاج لا غنى له عن الجمال فالجمال يرفد العملية الإقناعية، و ييسر على المتكلم ما يرومه من نفاذ إلى عوالم المتلقي الفكرية والشعورية، و الفعل فيما ليست البلاغة كما يقول العسكري¹ إلا ما به يعطف القلوب النافرة ويؤنس القلوب المستوحشة و تلين به العريكة الأبية المتعصبة، و ويبلغ به الحاجة و تقام به الحجة فتُخلَصُ نفسك من الغيب و يلزم صاحبك الذنب من غير أن تهيجه و تقلقه وتستدعي غضبه وتستشير حفيظته.²

و قد تحدث صابر حباشة عن علاقة البلاغة بالحجاج بقوله: "ليس الحجاج علما/فنا يوازي البلاغة بل هو ترسانة من الأساليب و الأدوات يتم اقتراضها من البلاغة (و من غيرها كالمنطق واللغة العادية)، و لذلك فمن اليسير الحديث عن اندماج الحجاج مع البلاغة في كثير من الأساليب، ولما كان مجال الحجاج هو المحتمل و غير المؤكد و المتوقع فقد كان من مصلحة الخطاب الحجاجي أن يقوي طرحه بالاعتماد على الأساليب البلاغية و البيانية التي تُظهر المعنى بطريقة أجلى و أوقع في النفس."³

¹ - سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيتة و أساليبه، عالم الكتب الحديثة، أربد، الأردن، 2011، ص120.

² - أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، الصناعتين الكتابة و الشعر، مرجع سابق، ص57.

³ - صابر حباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص صفحات للدراسة و النشر، دمشق، سوريا، الإصدار الأول 2008، ص50.

ب - الحجاج والتداولية:

• تعريف التداولية:

- لغة: جاء في أساس البلاغة للزمخشري: " دول: دَالَتْ لَهُ الدَّوْلَةُ، و دَالَتْ الأَيَّامُ بِكَذَا و أدالَّ اللَّهُ بَنِي فُلَانٍ من عدوهم: جعلَ الكرهَ لهم عليه، و اللَّهُ يُدَاوِلُ الأَيَّامَ بَيْنَ النَّاسِ، مرة لهم و مرة عليهم.¹

- اصطلاحاً: جاء في تعريف محمد نحلة "التداولية فرع من علم اللغة يبحث في كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم أو دراسة معنى المتكلم"²، وأما طه عبد الرحمان فيعرف التداولية بقوله " هي الدراسات التي تختص بوصف و إن أمكن بتفسير العلاقات التي تجمع "الدوال" الطبيعية "و مدلولاتها و بين "الدالين بها"³

و الملاحظ من هذه التعريفات أن التداولية في اللغة تعني التحوّل والتبدّل و عدم الثبوت. يعني أن اللغة تنتقل من المتكلم إلى المتلقي في سياق ماء تكون لها عدة معاني من خلال التأويل .

• علاقة الحجاج بالتداولية :

تعدّ البلاغة مهد نظرية الحجاج كما ذكرنا سابقاً، و لكن الإطار العام التي تسير فيه هاته النظرية هو التداولية، و لذلك يرى اللسانيون و في مقدمتهم "ديكرو" أن الحجاج مرتبط باللغة، وليست له أية علاقة بالمنطق الجدلي البلاغي الذي تبناه بيرلمان، يقول أبو بكر العزاوي: "نظرية الحجاج في اللغة تتعارض مع الكثير من النظريات و التصورات الحجاجية الكلاسيكية التي تعدّ الحجاج منتما إلى البلاغة الكلاسيكية (أرسطو) أو البلاغة الحديثة (بيرلمان، نيتيكا، ميشال مايير..) أو منتما إل المنطق الطبيعي (جان بليزغريز...)"

¹ أبو القاسم جار الله محمود الزمخشري ، أساس البلاغة ، ص 303.

² - محمد أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، (د.ط)، 2002، ص 12.

³ - طه عبد الرحمان، في أصول الحوار و تحديد علم الكلام، مرجع سابق، ص 28.

ثم يختم قائلا: "إن هذه النظرية التي وضع أسسها اللغوي الفرنسي (أزفالد ديكر) منذ سنة 1973 نظرية لسانية" أي أن هاته النظرية قد انطلقت من اللغة بالتحديد من نظرية الأفعال لأوستين وسيرل.

لقد ظهرت فكرة الحجاج من داخل حقل الأفعال الكلامية حين قدّم أوستين كتابا حول نظرية الأفعال اللغوية العامة "حاول فيه ربط اللغة بالاستعمال أو الإنجاز (الكلام بالفعل).

و عليه يستند الحجاج إلى الأفعال الكلامية لتحقيق التأثير على المتلقي سواء أكان في سلوكه أم في معتقده و فق ما يقتضيه الموقف الكلامي.

كما ظهرت اهتمامات سيول بالحجاج من خلال حديثه عن القصدية أو كما (يسمىها بالمواضع) التي تُعدّ شرطا أساسا في كل عملية كلامية. فالاتصال إذاً فعل إنساني يسمح فيه بإحداث أثر مقصود على المستمع عن طريق التأويل و منه يدخل الاتصال ضمن الحجاج لأنه يلتقى معه في عنايته بالمتلقي و ظروف التواصل، و بالتالي تصبح حدود المعنى حدودا للقصد.

لقد أدخل غرايس مفهومين مُهمّين هما: مبدأ التعاون و الاستلزام الخطابي و يعدّهما أساسا لكل عملية تخاطبية.

و بناء عليه بعد مبدأ التعاون و الاستلزام الخطابي الدعامة الأساسية سواء في إنتاج الأقوال أم تأويلها أثناء المحادثة و الحجاج.¹

نستنتج مما سبق ذكره أن فكرة الحجاج تبلورت في نظرية الفعل الكلامي من خلال أعمال أوستين و سيرل، هذا الأخير حاول ربط الفعل الكلامي بالحجاج عن طريق النفي و الإثبات أو الصدق و الكذب، بينما غرايس درس الحجاج من منطلق تواصل.

¹ - نور الدين بوزناشة، الحجاج في الدرس اللغوي الغربي (مجلة)، عدد 44، 2010.

كما تعرضت د.آمال يوسف المغامسي في كتاب الحجاج في الخطاب النبوي علاقة الحجاج بالتداولية: حيث تقول: "يعد الحجاج أهم أركان التداولية إلى جانب نظرية الأفعال الكلامية، و قد كان للبحوث التداولية دور كبير في تطوير بلاغة الحجاج في الربع الأخير من القرن العشرين، عندما انفتحت نظرية الحجاج على المعارف اللسانية و البلاغية والاجتماعية وغيرها.¹

و قد ارتبطت نظرية الحجاج اللساني بالجوانب التداولية التي أصبحت تهتم بها البحوث التداولية، بعد انتقالها من لسانيات اللغة إلى لسانيات الكلام التي تبرز مظاهر العلاقة بين المتكلم والمخاطب داخل مجال التداولية.

والاعتقاد بأن دراسة الحجاج في الخطاب اللفظي هو شأن التداولية له ما يبرره، إذ الفعل يُخضع الخطاب الحجاجي ظاهرياً وباطنياً أي أن كل خطاب حجاجي تبرز فيه مكانة القصدية والتأثير والفعالية.²

ج- الحجاج والإقناع:

• تعريف الإقناع:

- لغة: جاء في لسان العرب مادة (قنع) بنفسه قنعا و قناعة رضي، و المقنَع بفتح الميم العدل من الشهود، و يقال فلان شاهد مقنع، أي رضا يقنع به.

و القناعة : الرضا بالقسم.³

و ورد في قاموس المحيط: القنوع بالضم : السؤال والتذلل، و الرضا بالقسم.⁴

¹ - محمد سالم الأمين الطلبة ، الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديدة ، المتحدة لبنان ، ط1 ، 2008 ، ص175 : نقلا عن آمال يوسف المغامسي ، الحجاج في الحديث النبوي ، ص 129 .

² - ينظر : آمال يوسف المغامسي الحجاج في الحديث النبوي ، ص 129 .

³ - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، مادة قنع، مجلد8، ص297 ، 298.

⁴ - مجد الدين بن محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مرجع سابق، ص183.

- اصطلاحاً: و يعرفه حازم القرطاجني بقوله: "الإقناع حمل النفوس على فعل الشيء أو اعتقاده أو التخلي عن فعله.¹

يقول طه عبد الرحمان فيه : تكون البنية بمتملة الدليل الذي بلغ درجة في الوضوح ، يصير معها المتوسل به قادراً على الظهور على خصمه، كما لو كان هذا الدليل الظاهر مستغنياً بظهوره عن جانب الاستدلال فيه.²

● علاقة الحجاج بالإقناع :

يرى " توماس شايدل " الإقناع " بأنه محاولة واعية التأثير في السلوك "³ أي أنه فعل مقصود يتطلب تقنيات و كفايات عالية التأثير في المتلقي. ويرى أوستين فريلي أن الحجاج و الإقناع جزءان من عملية واحدة و لا اختلاف بينهما إلا في التوكيد.⁴ فسلطة الإقناع مرهونة بمدى توافر الشروط اللازمة لنجاح الخطاب الحجاجي، فكلما كان الخطاب الحجاجي ناجحاً كلما امتلك قدرة أكبر على الإقناع.⁵ و بهذا التصور يكون هناك ارتباط وثيق بين المصطلحين و المفهومين. وهو تصور موجود أيضاً الخطابة الجديدة عند بيرلمان و تيتيكا. فالإقناع و الاقتناع هما لبّ العملية الحجاجية عندهما و غاية الحجاج الأساسية.⁶

و حسب ظافر الشهري في كتابه استراتيجيات الخطاب يرى أن الإقناع "الأخذ بتنامي الخطاب بين طرفيه عن طريق استعمال الحجاج، فالحجاج شرط في ذلك، لأن من شروط التداول اللغوي شرط الإقناعية؛ فالمرسل عندما يطالب غيره بمشاركته اعتقاداته، فإن مطالبته لا

¹ - أبو الحسن حازم القرطاجني، منهاج البلغاء و سراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن خوجة، الدار العربي للكتاب، تونس، ط3، 2008، ص19.

² - طه عبد الرحمان، اللسان و الميزان، مرجع السابق، ص136.

³ - محمد العيد ، النص الحجاجي العربي دراسة في وسائل الإقناع (مقال) ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته ، ج 4 ، ص6، نقلا عن أمال يوسف المغامسي ، الحجاج في الحديث النبوي ، ص 30.

⁴ - المرجع نفسه، ص6 ، نقلا عن أمال يوسف المغامسي ، الخجاج في الحديث النبوي ، ص30.

⁵ - ينظر : عبد السلام عشير ، عندما نتواصل نغير ، أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، 2006 ، ص22 ، نقلا عن أمال يوسف المغامسي ، الحجاج في الحديث النبوي ، ص 30.

⁶ - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، مقاربة تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت لبنان ، ط1 ، 2004 . ص456 ، نقلا عن أمال يوسف المغامسي ، الحجاج في الحديث النبوي ، ص 30.

تكتسي صبغة الإكراه ولا تدرج على منهج القمع، و إنما تتبع في تحصيل غرضها سبلا استدلالية متنوعة تجرّ الغير جرّا إلى الاقتناع برأي المحاور.¹

و يؤكد طه عبد الرحمان هذا القول من خلال تعريفه للإقناعية؛ فعندما يطالب المحاور غيره بمشاركته اعتقاداته دون إكراه أو قمع وإنما يتبع سبل استدلالية تدفعه للاقتناع برأي المحاور.²

كما يعرف الإقناع والاقتناع بما يأتي: و الاقتناع بالشيء هو الرضى به ويطلق على اعتراف الخصم بالشيء عند إقامة الحجة عليه و هو على العموم إذعان نفسي لما يجده المرء من أدلة تسمح له بقدر من الرجحان و الاحتمال كاف لتوجيه عمله، إلا أنه دون اليقين في دقته ووضوحه.³

د- الحجاج والتواصل:

• تعريف التواصل:

- لغة: جاء في مقاييس اللغة لابن فارس تعريفه للتواصل بقوله: "الواو، و الصاد، و اللام" أصل واحد يدلّ على ضمّ شيء إلى شيء حتى يعلقه، و وصلته به وصلا ، و الوصل ضد الهجران، ويقول : وصلت ايء وصلا.⁴

- اصطلاحا: للتواصل الاصطلاحي تعريفان:

- ✓ مفهوم يعني استمرار العلاقة المتينة بين طرفين العلاقة المشاركين فيها.
- ✓ انفتاح الذات على الآخر في علاقة حية لا تنقطع حتى تعود من جديد.

¹ - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص38

² - ينظر : طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، ص 38 .

³ - طه عبد الله السباعي ، أساليب الإقناع في المنظور الاسلامي ، دار الكتاب العلمية ، بيروت لبنان ، ط 1 ، ص 15 .

⁴ - ابن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، القاهرة، 1399/ 1979، ج6، ص115.

✓ و عرفه الدكتور عمر نصر الله "بأنه علاقة بين فردين على الأقل كل منهما يمثل ذات نشيط" و الذي ترتاح إليه النفس أن التواصل يعني بناء علاقة بين فردين أو دولتين أو مجتمعين مما يحقق المنفعة المتبادلة بين الطرفين.¹

● علاقة الحجاج بالتواصل:

إن الامتياز الذي منح عادة إلى الإعلام في التواصل أدى إلى نشر خطاطة معيارية تقوم على المرسل و الرسالة و المتلقي في منظور خطي . إنها خطاطة شانون shannon ذاتة الصيت. و إذا كانت هذه الخطاطة تطبق جيدا في حالة إذاعة الخبر ، فإنها لا تطبق كما هي على فعل الحجاج.

إن نقل الخبر عبر القناة يختلف في طبيعته عن تشكيل رأي ما نقله نحو المتلقي ويلزمنا في حالة الحجاج -إذن- أن نفكر في خطاطة ملائمة للتواصل .

● المثلث الحجاجي:

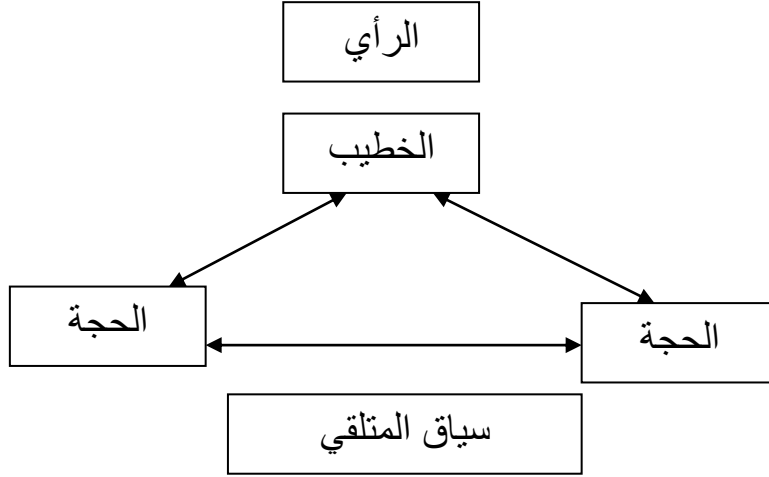
يمكننا بالفعل أن نميز في الحجاج بين ثلاثة مستويات :

- رأي الخطيب ، و ينتمي إلى مجال المحتمل، سواء أعلق الأمر بأطروحة، أم بقضية أم بفكرة أم بوجهة نظر. إنه الرأي في حد ذاته قبل ان يتشكل في صيغة حجة فهو ليس موجها بالقوة ليصبح حجة: يمكننا أن نمتلك رأيا، و أن نحتفظ به لأنفسنا دون أن نسعى إلى إقناع الآخرين به أو يمكننا بكل بساطة إخبارهم بانخراطنا نحن فيه.
- الخطيب: و هو الذي يحتاج لنفسه أو للآخرين ... إن الخطيب الذي يمتلك رأيا، هو من يتخذ موضعا لنقل هذا الرأي إلى المتلقي و إخضاعه له لكي يشركه فيه؛ أي أن يجعل رأيه هو رأي المتلقي.

¹ - ماجد رجب العبد سكر ، التواصل الاجتماعي أنواعه ضوابطه آثاره و معوقاته، دراسة قرآنية موضوعية، مذكرة نيل الماجستير، إشراف الدكتور جمال محمود محمد الهوي ، الجامعة الإسلامية ، غزة، 2011، ص8.

- الحجة التي يدافع عنها الخطيب تتعلق الأمر بالرأي الذي يتشكل لأجل الإقناع¹. فإن الرأي -في هذه الحالة - في برهان حجاجي .

• خطاطة التواصل الحجاجي²



في مثل هذه الخطاطة ترى أن الخطيب و الحجة والمتلقي في هذا المنظور سوى مجموعة من وسائط عملية النقل.

ما جاء في كتاب التواصل و الحجاج أن لفظ التواصل لفظا يكتنفه الغموض، فقد يدلّ على معان ثلاثة متميزة فيما بينها:

- أحدها نقل الخبر؛ و لنصطلح على تسمية هذا النقل بـ "الوصل".
- الثاني: نقل الخبر مع اعتبار مصدر الخبر الذي هو المتكلم ولنطلق علي هذا الضرب من النقل باسم "الإيصال".
- الثالث : نقل الخبر مع اعتبار مصدر الخبر الذي هو المتكلم ومقصده الذي هو المستمع معا ؛ ولندع هذا النوع من النقل باسم "الاتصال".

¹ - فيليب بروتول، الحجاج في التواصل، تر: محمد ميشال، عبد الواحد التهامي العلمي، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة ط1، 2013م، ص34، 35.

² - المرجع السابق ، ص36.

- أما لفظ الحجاج فلا يدور على الألسن مثلما يدور عليها لفظ "التواصل" و لو أنه لا تواصل باللسان من غير حجاج، و لا حجاج بغير تواصل باللسان.
- و قد توسع معنى الحجة فصار يدلّ على الإثبات فحسب، بل تعداه إلى الدلالة على مجموع قول القائل مبتدرا ومجيبا، و على ما أضمّر في هذا القول.
- و يدخل الغموض لفظ "الحجة" من الجهات التي يدخل منها على لفظ "التواصل" فقد يحمل هو الآخر على معان ثلاثة:

- أحدها الحجة بوصفها بناء استداليا يستقل بنفسه، فلنصطلح على هذا المعنى باسم الحجة المجردة.
- الثاني: الحجة بوصفها فعلا استداليا يأتي به المتكلم فانسم هذا المعنى بـ "الحجة الموجهة".
- الثالث: الحجة بوصفها فعلا استداليا يأتي به المتكلم بغرض إفادة المستمع، و ينهض المستمع بتقويمه ؛ فلندع هذا المعنى باسم "الحجة المقومة"¹.

ولما كان كل حجاج تواصلا فإننا نحصل على ثلاثة نماذج تواصلية للحجة، و هي:

- ❖ النموذج الوصلي للحجة: تكون فيه الوظيفة التواصلية للحجة وظيفة وصل.
- ❖ النموذج الإيصالي للحجة: تكون فيه الوظيفة التواصلية للحجة وظيفة إيصال .
- ❖ النموذج الاتصالي للحجة: تكون فيه الوظيفة التواصلية للحجة وظيفة اتصال.²

و خلاصة القول أن الحجاج والتواصل يشكّلان وجهين متحدين في كل علاقة تخاطبية فالعلاقة بين الحجاج و التواصل وثيقة و مستمرة انطلاقا من مبدأ ألا تواصل من غير حجاج و لا حجاج من غير تواصل.

¹ - طه عبد الرحمان ، التواصل والحجاج، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، (دط)، (دت)، ص: 5، 6 .

² - طه عبد الرحمان ، التواصل والحجاج، مرجع سابق، ص 6.

الفصل الأول:

الحجاج عند العرب

- توطئة

1- مصطلحات حجاجية في البلاغة العربية

2- صور من البنى الحجاجية في البلاغة

3- الحجاج في الدراسات العربية

أ- الحجاج في الدرس البلاغي القديم

ب - الحجاج في الفكر العربي الحديث

خلاصة الفصل

برز الاهتمام بالحجاج في الدرس اللغوي و البلاغي المعاصر من خلال الحقلين النقدي واللساني خاصة والإنساني عامة، و في مجال المشافهة و الكتابة، و قد حصل هذا الاهتمام بعد الثورة التي عرفها الدرس اللغوي¹، و قد خضع الحجاج البلاغي إلى رغبتين هما: إرادة المتكلم، وإرادة المتلقي وخضوع حججه للتراتبية و التنظيم و اشتماله على البعد الاستدلالي، والبعد الإمتاعى، و الجمع بين البيان والبديع، و أن الإرادتين (المرسل والمتلقي) تتناوبان في الإدعاء والاعتراض، فالأول يريد أن يمنع المتلقي بدعوته، و الآخر يريد أن يقتنع بالدعوى من خلال الاعتراض عليها، و عليه فإن بناء المرسل للتصورات يتم عبر سلسلة من الحجج المنطقية تنقل عن طريق الاتصال، فهو تداولي؛ لأنه يرتبط بسياق اجتماعي، و أن الأدلة المقدمة قد لا تكون قاطعة بالنسبة إلى المتلقي؛ لذا فهو حرّ في الاقتناع من عدمه، و هذا يتطلب مجهودا كبيرا من الموصل في عرض حججه في الخطاب.

لا يمكن بأي حال من الأحوال هنا تتبع جذور نظرية الحجاج في الفكر العربي القديم والحديث بشكل مفصل²، إذ يضرب الحجاج أطنابه بعيدا في التراث البلاغي، و النقد العربي إذ هو عندهم تتنازع المفاهيم الآتية: الحجاج و الاحتجاج و الجدل والجدال و المجادلة، و قد أدى الحجاج فعلا مهما في المدارس التي ظهرت، و في خضمّ الجو الفكري يظهر اسم الجاحظ³ والزمخشري و الجرجاني و السكاكي و حازم القرطاجني و ابن وهب ، كما تمخضت الجهود العربية الحديثة في نظرية الحجاج على يد جملة من الباحثين و لا سيما المغرب العربي، و منهم: محمد العمري، أبو بكر العزاوي، حمادي صمودي ، عبد الله صولة، طه عبد الرحمان.

¹ - محمد سالم الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديدة، لبنان، ط1، 2008، ص7.

² - مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي و البلاغي، دار مكتبة عدنان، لبنان، 2015، ط1، صص: 19، 20.

³ - المرجع نفسه، ص22.

1- مصطلحات حجاجية في البلاغة العربية:

من أهم المظاهر الدالة على البعد الحجاجي في البلاغة العربية تلك المصطلحات التي يغلب عليها طابع البرهان والحجاج والإقناع، بهذه المصطلحات تركّز على الحجة والإقناع أكثر من تركيزها على الفن والإمتاع ومن هذه المصطلحات:¹

أ- **الاحتجاج:** الاحتجاج النظري و هو لون من ألوان الكلام سماه بهذا الاسم جماعة منهم ابن قيم الجوزية²، و لكن البلاغيين يسمونه "المذهب الكلامي" و حقيقته احتجاج المتكلم على خصمه بحجة تقطع عناده وتوجب له الاعتراف بما ادّعاه المتكلم و إبطال ما أورده الخصم، و سُمّي المذهب الكلامي لأنه يسلك فيه مذهب أهل الكلام في استدلالهم على إبطال حجج خصومهم³، و سَمّاه الزركشي إجمام الخصم بالحجة، و قال: "هو الاحتجاج على المعنى المقصود بحجة عقلية تقطع المعاند له فيه".⁴

ب- **الاستدلال:** هو "تقرير الدليل لإثبات المدلول سواء كان ذلك من الأثر إلى المؤثر... أو من أحد الأثرين إلى الآخر"⁵، و يقصد به البلاغيون الاستدلال البياني و هو يشكّل دليلاً أو أدلة بمعنى البيّنة و الحجة يحصل بها التبيين، و يدخل هذا الاستدلال من باب التشبيه، و الوصف والاستعارة"، و ذكر منه ابن سنان الاستدلال بالتمثيل الذي قال إنه "يزيد في الكلام معنى يدل

¹ - حسن خميس الملخ، الحجاج رؤى نظرية و دراسات تطبيقية، مرجع سابق، ص24، 23.

² - شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن قيم الجوزية الحنبلي، كتاب الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، تح: بدر الدين النعساني، القاهرة، ط1، 1327 هـ، ط1، 1982، ص202.

³ - أحمد مطلوب، المصطلحات البلاغية و تطورها، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، (دط)، 2007، ص37.

⁴ - بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، (دط) (دت)، ج3 ص468.

⁵ - علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تح: محمد الصديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، (دط) (دت) ص 18.

على صحته بذكر مثال له¹ وكذلك الاستدلال بالتعليل وهو ما يسمى في البديع و بحسن التعليل، و لم يعرفه.²

ج- الإلجاء: و هو الاضطرار، و ألجأه إلى الشيء اضطره إليه³، و عرفه ابن أبي الأصبع المصري بقوله: "هو أن تكون صحة الكلام ظاهرة موقوفة على الإتيان فيه بما يبادر الخصم إلى رده بشيء يلجئه إلى الاعتراف بصحته كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾"⁴ و قال تعالى في جواب هذا القول: ﴿لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا

لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾⁵ يلحدون إليه أعجمي و هذا لسان عربي مبين"

فإن للخصم أن يقول نحن إنما أردنا القصص والأخبار ... فظاهر الكلام لا يصلح أن يكون ردا على المشركين فيقال لهم: هب أن الأعجمي علمه المعاني، فهذه العبارة الحائلة التي قطعت أطماعكم عن الإتيان بمثلها عن علمها له ؟ فإن كان هو الذي أتى بها من قبل نفسه كما زعمتم فقد أقررتم أن رجلا واحدا منكم أتى بهذا المقدار من الكلام، وقد عجزتم بأجمعكم، وكل ما تدعونه من دون الله عن الإتيان بأقصر سورة⁶.

د- الاستدراج: عرفه ابن الأثير الحلبي في قوله: "يقال استدراج فلان فلانا إذا توصل إلى حصول مفقوده من غير أن يشعره من أول وهلة، والمراد بذلك الملاطفة في الخطاب ولزوم

¹ - ابن سنان الخفاجي ، سر الفصاحة دار الكتب العلمية، ط1، 1402هـ-1982م، ص 275.

² - ينظر، المرجع نفسه ، ص 277 ، 278.

³ - ابن منظور، لسان العرب ، ج 1 ، مادة لجأ ، ج 1، مرجع سابق، ص 152.

⁴ - سورة النحل، الآية 103.

⁵ - نفسه، الآية 103.

⁶ - أحمد مطلوب، المصطلحات البلاغية و تطورها، مرجع سابق، ص 179.

الأدب في الكلام مع المخاطب، حيث لا تنفر نفسه قبل حصول المقصود منه " فهو آلية نفسية بلاغية في إيصال الحجة.¹

هـ- **مجاراة الخصم:** وهو من المصطلحات التي عرفت في علم الجدل، قال السيوطي: " ومنه

مجاراة الخصم ليعثر بأن يسلم بعض مقدماته حيث يراد تبكيته وإلزامه " كقوله تعالى: ﴿ قَالَ

إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كُنَّا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ

مُبِينٍ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ

عِبَادِهِ ۚ ﴾² فيه اعتراف الرسل بكونهم مقصورين على البشرية، فكأنهم سلموا انتفاء الرسالة

عنهم، وليس مرادا بل هو مجاراة الخصم ليعثر فكأنهم قالوا ما أُدْعِيتُم من كوننا بشرا حتى لا ننكره، ولكن هذا لا ينافي أن يمين الله علينا بالرسالة.³

2- صور من البنى الحجاجية في البلاغة :

أ- **القياس:** قال الشريف الجرجاني في تعريفاته: "القياس في اللغة عبارة عن التقدير ... وهو

عبارة عن ردّ الشيء إلى نظيره، وهو قول مؤلف من قضايا إذا سلّمت لزم عنها لذاها قول

آخر"⁴ فالقياس في الواقع آلية أساسية من آليات الذهن البشري، يربط بين شيئين على أساس

بينها من عناصر مشتركة أو علة للوصول إلى استنتاج.⁵

¹ - آمال يوسف المغامسي، الحجاج في الحديث دراسة تداولية، الدار المتوسطة للنشر، تونس، الطبعة 1، 2016م، ص 63. نقلا عن أحمد مطلوب معجم المصطلحات البلاغية و تطورها، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ط1، 1403هـ/1983م، ص 122.

² - سورة إبراهيم، الآيتان: 11، 10.

³ - أحمد مطلوب معجم المصطلحات البلاغية و تطورها، مرجع سابق، ص 588.

⁴ - علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، مرجع سابق، ص 152.

⁵ - عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغيّر مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق، المغرب، (د.ط) 2006، ص 91.

وبالنظر للقياس بالحجاج اليوناني فإنه يبنى على الحد المنطقي، أما القياس في المنظور العربي اللغوي البلاغي يرادف الاستدلال، ولا يخرج عن دائرة التشبيه والوصف والاستعارة، فهو ليس عملية عقلية استنباطية محضة بل عملية خطابية يتم بموجبها اتخاذ علامة مادية أو معنوية وجعلها شاهداً أو مثالا.¹

ومن الذين فصّلوا في القياس ابن وهب في كتابه البرهان في وجوه البيان والقياس في اللغة عنده: التمثيل والتشبيه.²

ب-التمثيل : يندرج تحت مفهوم التمثيل التشبيه والاستعارة، وقد سبقت الإشارة إلى أن التمثيل وجه من وجوه القياس عند ابن وهب وغيره؛ فالتمثيل نوع من الاستدلال القياسي، وهو إثبات حكم واحد في جزأين لثبوته في جزئي آخر، معنى مشترك بينهما³ وعلى هذا فالتمثيل طريقة حجاجية لا ترتبط دائما بعلاقة التشابه وإنما بتشابه العلاقة بين أشياء متباعدة وهو ما تفعله الاستعارة على وجه الخصوص، لذا يحتاج إلى إعمال العقل للوصول إلى هذه العلاقة.

والقيمة الحجاجية والاستدلالية للتمثيل والاستعارة من المسائل التي اعتنت بها النظريات الحديثة كما عند بيرلمان وتيتيكا.⁴

و الاستعارة عند عبد القاهر هي نوع من الادعاء⁵، و معنى ذلك أن الاستعارة ليست عملية لغوية خالصة، وإنما عملية عقلية تستدعي إيراد الحجج والأدلة، و أن الاستعارة تؤدي دورا

¹ - ينظر، آمال يوسف المغامسي، الحجاج في الحديث النبوي دراسة تداولية، مرجع سابق ص 64. نقلا عن طه عبد الرحمن أصول الحوار وتحديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط4، 2010، ص 97.

² - ينظر ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، ص 19. نقلا عن المرجع نفسه ص 64.

³ - عبد القاهر الجرجاني، كتاب التعريفات، مرجع سابق، ص 59.

⁴ - ينظر، آمال يوسف المغامسي، الحجاج في الحديث النبوي دراسة تداولية، مرجع سابق، ص 66.

⁵ - ينظر، عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مطبعة المدني، القاهرة، دار المدني، جدة، ط3، 1992، ص 437.

فعالا في الحجاج والإقناع بجمعها بين متبايعين أو متناقضين في فضاء جديد هو فضاء الممكن والمحتمل الذي هو ميدان الحجاج.

أما السكاكي فيرى أن التخيل والتصوير البياني بصفة عامة ما هو إلا عملية استدلالية تقوم بالانتقال من المعنى إلى معنى المعنى، أو من الدلالة الوضعية إلى دلالة أخرى نقلية، فهو يشمل التشبيه والاستعارة والكناية.¹

إذ هدف البيان الحجاجي عند السكاكي يتعلق بتحصيل المطلوب، مما يعني خدمته لمقصدية المتكلم ضمن سياق معين فهو بيان حجاجي تداولي.

ج- **الشاهد:** و هو من الحجج الجاهزة أو غير الصناعية عند أرسطو² و يمثل الجنس الثاني من الحجج التي يعدها عمدة الحجاج، و هو لفظ أو عبارة لها قدسية أو مكانة تاريخية تجعلها محل القبول أو التقديس عند الناس، و قد تكون نصا مقدسا أو حديثا نبويا شريفا أو شعرا أو حكمة أو مثالا أو قولاً مشهوراً.³

فأهمية الاستشهاد تكمن في تحقيق الإقناع و إزالة الشك وإضفاء المزيد من الشرعية إلى الحجة. و قد كان للشاهد دوره المميز في مناظرات الجدل و الاحتجاج عند المتكلمين و الشواهد ليست على درجة واحدة من حيث القوة و السلطة، فالشاهد القرآني يأتي على رأس السلم الحجاجي، ثم الحديث النبوي، ثم الشعر ثم المثل و الحكمة.

¹ - ينظر ، عادل عبد اللطيف ، بلاغة الإقناع في المناظرة، دار الأمان، الرباط، ط2013، 1، ص 78.

² - آمال يوسف المغامسي، الحجاج في الحديث النبوي دراسة تداولية، مرجع سابق، ص68.

³ - ينظر، آمال يوسف المغامسي، الحجاج في الحديث النبوي دراسة تداولية، مرجع سابق، ص 68. نقلا عن ، باتريك شارل، تر: أحمد الوديني، الحجاج بين النظرية والأسلوب، مرجع سابق، ص96.

و لا تقتصر الظواهر البلاغية الحجاجية في البلاغة العربية على ما سبق؛ فهناك العديد من الظواهر الأخرى مثل التكرار، و الحذف و التقسيم، و المقابلة و الطباق، و تأكيد المدح بما يشبه الذم، و غيرها.¹

3- الحجاج في الدراسات العربية:

أ- الحجاج في الدرس البلاغي القديم:

لم يكن لمبدأ بلاغي من الإجلال عند البلاغيين العرب و السيطرة على تفكيرهم مثل مبدأ(البيان)، فهو لديهم جوهر البلاغة و الوظيفة الأساسية لكل اتصال لغوي؛ و ذلك لأن مدار الأمر و الغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام و في وقوفنا على معالجة البلاغيين العرب للبيان تبدأ مع الجاحظ:²

● عند الجاحظ:

تناول الجاحظ (ت255هـ) على ما يجب أن يكون عليه الخطيب و هو عنصر في العملية الحجاجية، ثم ينبه إلى أهم الصفات التي تجعل من الخطاب ناجحاً، و ذلك بسلامة الخطيب من العيوب النطقية والعي و ما أتى به الجاحظ في كتابي "البيان والتبيين" و "الحيوان" يعدّ من تلك الأبحاث التي ترتبط بالبيان و التي يمكن أن تجعل بينها وبين البحث الحجاجي علاقة.³

فالبيان عند الجاحظ "يراد بمعنى الإيضاح و الإفصاح، من هنا يكون البيان ذا علاقة بالخطاب حيث يُعنى بالإبانة و الإرسال أو الإبلاغ المبين الذي يتم عبر اللغة و غيرها"⁴، و جاء تعريفه في كتابه البيان والتبيين: "و البيان اسم جامع لكل شيء كشف لنا قناع المعنى، و هتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته، و يهجم على محصوله كائناً ما كان ذلك البيان

¹ - ينظر، آمال يوسف المغامسي، الحجاج في الحديث النبوي دراسة تداولية، مرجع سابق، ص 69، 70.

² - جميل عبد المجيد، البلاغة الاتصال، دار غريب، القاهرة، 2000، ص 143.

³ - عباس حشاني، خطاب الحجاج و التداولية دراسة في إنتاج ابن باديس الأدبي، عالم الكتاب الحديث، الأردن، ص 30.

⁴ - ينظر، جميل عبد المجيد، البلاغة الاتصال، مرجع سابق، ص 143، 144.

أومن أي جنس كان الدليل؛ لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، وإنما هو الفهم والإفهام؛ فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضوع.¹

و من تعريف الجاحظ للبيان تتبين العلاقة بين الحجاج والبيان إذ يمكن أن نعدّه من البحوث المهمة في الحجاج و ذلك للارتباطات الآتية: الكشف عن المعنى، و يكون هذا بدليل، الفهم والإفهام، و الغاية من الكلام، و هتك الحجاب، و هذا يعني الإقناع و الإفحام؛ و مجمل هذه العناصر تكون عملية حجاجية بين فعلي الإنتاج و التلقي.

و لنؤكد هذا المنهج الحجاجي أكثر، فالجاحظ لم يعن بالكلام المبين فحسب، بل اعتنى بالمتكلم أيما عناية، و هدفه من خطابه المنتج و كيفية تحقيق الفائدة من الخطاب²، و يقول "في إصابة عين المعنى بالكلام الموجز فلان يفلّ المحز، و يصيب المفصل، و أخذ ذلك من صفة الجزار فجعلوه مثلاً للمصيب الموجز".³

و يشير الجاحظ إلى آليات البيان و وسائله" و أن البيان يحتاج إلى تمييز وإلى ترتيب ورياضة وإلى تمام الآلة و إحكام الصنعة، و إلى سهولة المخرج، و جهازة النطق، و تكميل الحروف وإقامة الوزن، و أن حاجة المنطق إلى الحلاوة كحاجته إلى الجزالة و الفخامة، و أن ذلك أكبر ما تستمال به القلوب و تثني به الأعناق وتزيّن به المعاني".⁴

و يرى الباحث اللساني أن ما أتى به الجاحظ لحاجات البيان و المنطق تنطبق على الآليات والوسائل الحجاجية المعروفة في البحوث التداولية الحديثة.

¹ - الجاحظ، البيان والتبيين، دار و مكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1988، ص76.

² - عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، مرجع سابق، ص30.

³ - الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، مرجع سابق، ص 107

⁴ - المرجع نفسه، ص16. نقلا عن: عباس حشاني، خطاب الحجاج و التداولية، مرجع سابق، ص31.

و يذكر الجاحظ قولاً يبين فيه أهمية الصوت و الإشارة، و كأن هذه الصفات تنطبق على المحاجج لتحصل حججه القبول لدى السامع و هو المحاجج المقصود ... حيث يرى أن للصوت دوراً في العملية الحجاجية مع سهولة المخرج و جهازة المنطق و غيرها من الشروط السابقة التي يحتاجها المتكلم في البيان أو الحجاج على حدّ سواء.

أما الوسيلة الثانية التي ركّز عليها الجاحظ فهي الإشارة لما لها من القائدة في الاتصال الخطابي أو في الحجاج و ما تزيده من تأكيد على الحجة المقدّمة تحمل السامع على ذلك الرأي أو تلك القضية فهي تعين الخطاب من حيث بيانه.

و يتبين من هذا أن الإشارة وسيلة من وسائل الحجاج التي تؤكد حجة القول فهي تمثل تأكيده بالفعل.

نخلص من هذا إلى أن الجاحظ من خلال معالجته للبيان يمكن عدّ هذه المعالجة إرهاصات لبحث حجاجي يتم انطلاقاً من المتكلم المحاجج بالكيفية التي يكون هو عليها، و الكيفية التي يكون عليها خطابه و شروطه ليكون خطابه ناجحاً صائباً، ثم يتطرق إلى السامع المحاجج و ينبّه إلى ضرورة إفهامه، و قد ذكر مختلف الوسائل لذلك كما رأينا في أنواع من الخطاب الشفوي والحوار و في الخطبة.¹

- لقد حاول الجاحظ وضع نظرية لبلاغة الحجاج و الإقناع يكون مركزها الخطاب اللغوي بكل ما يصاحبه من وسائل إشارية و رمزية و دلالات لفظية، و أساسها أي هذه البلاغة مراعاة أحوال المخاطبين... و البيان عنده يتسع ويضيق بحسب المقام لكنه في كل الحالات، هو البلاغة و هو الحجاج.²

¹ - عباس حشاني، خطاب الحجاج و التداولية، مرجع سابق، ص32،31.

² - محمد سالم الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، مرجع سابق، ص211.

- إن مفهوم البيان و وظيفته من مفهوم الحجاج و الإقناع، و لقد انحصرت وظيفة البيان في الفهم والإفهام في بعده: المعرفي و الإقناعي "الاستمالة و الاحتجاج".¹
- لقد بات واضحا أن الحجاج أسهم بمعالجته للبيان في إثراء البحث الحجاجي و مصطلحاته؛ فالحجاج إن لم يكن مذكورا بهذا المصطلح، فهو البيان عند الجاحظ و دليلنا في ذلك النصوص الحجاجية التي ظهرت في كتابه.²
- كما يعدّ الجاحظ أول مفكر عربي نقف في تراثه على نظرية متكاملة تقدّر أن الكلام وهو المظهر العملي لوجود اللغة المجردة ينجز بالضرورة في سياق خاص يجب أن نراعي بالإضافة إلى الناحية اللغوية المحضة، جملة من العوامل الأخرى كالسامع والمقام و ظروف المقال و كل ما يقوم بين هذه العناصر غير اللغوية "من روابط وتحتل الوظيفة وهي في مصطلحه الغاية "و" مدار الأمر" حجر الزاوية في هذا البناء، لأنها مولد اللحمة و محرك التفاعل بين هذه الأطراف بل إنها الهدف الذي تسعى هذه الأطراف إلى تحقيقه.³

من خلال ما سبق نخلص إلى أن الجاحظ ربط البلاغة بالوظيفة الإقناعية، و ما عزّز ذلك هو الانتماء العقدي له، فهو من المعتزلة و هم يرون أن اللغة و البلاغة هما سلاح المتناظرين والمجادلين. فالبلاغة وسيلة للتأثير في المستمعين و استمالتهم و هذا ما يبرر اهتمام الجاحظ في مشروعه البلاغي بالخطبة و اهتمامه باللفظ و مراعاة المقام و الحال و سلامة الخطيب من العيوب والاستعانة بالوسائل غير اللغوية.

● عند الزمخشري:

إن الزمخشري (ت538هـ) يحرص على أن يظل دائما وثيق الصلة بمخاطبه ، يفسّر له ويطلب منه النظر في الدليل و الحجة حتى يؤسس معه برهانا بإجراءات حجاجية يكون في

¹ - محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، مرجع سابق، ص201.

² - عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، مرجع سابق، ص34.

³ - حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس منشورات الجامعة التونسية، المطبعة الرسمية 1981، ص201.

أغلبها قد استنبطها بنفسه "المتلقي"، و غايته في ذلك هو توجيه مخاطبه سالكا في ذلك مسلك رضاه بما يعرفه أو يعتقد من دون أن يتسلط أو يجبره على قبول الحكم و لو مكرها إنما يستميله و يجادله بعقل مجتهد، وكل ذلك من أجل مبدأ التشارك والتعارف و لخلق الظروف المواتية للوصول إلى الإجماع على هذا الرأي أو الحكم عبر هذه الصيرورة التي يفعلها كثيرا في كشافه.

و ما يلاحظ على الزمخشري أنه دائم الصلة بمخاطبه يملل له تارة ويعترض عليه أخرى ما أنكره منه لأجل إقامة الدليل على دعواه ، مستحاثا إياه على النظر في استدلالاته ، ذلك أنه يفترض اعتراضا وإنكارا من مخاطبه "السائل" و الذي يدل على قول السائل المفترض.¹

و الذي يدل على أن الزمخشري أخذ بمبدأ التشارك في أسلوبه القائم على الملاطفة في المحاورة، ومثال ذلك وهو كثير عند تفسيره لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴾²، حيث يقول: فإن قلت: اصطفى البنات بفتح الهمزة استفهام عن طريق الإنكار والاستبعاد، فكيف صحت قراءة أبي جعفر بكسر الهمزة على الإثبات.

و محل الشاهد في هذا النص هو اضطلاع كل من العارض الزمخشري و المعروض عليه "المتلقي المفترض" في فعل بناء القول الحجاجي، حيث الخلاف بينهما في دلالة القول في قوله تعالى: اصطفى البنات على الإثبات أو الإنكار و الاستبعاد لتحديد مقصده.

و لعل بنية هذا النص الحوارى الجدلي القائمة أساسا على مبدأ "التشارك" هي المقصودة بالجدل المحمود" الذي يتم بطرق هادئة و ينبغي تحصيل الحقيقة بطريقة التعاون لا ترذيل فيه ولا تقبيح ، فهو لا ينشد الغلبة و الإلزام بل الكشف عن الحقيقة و بيان الصواب.³

¹ - الأستاذ عبد الحليم ريوقي، مجلة علمية دراسات أدبية ، يصدرها مركز البصيرة للدراسات والبحوث و الاستشارات والخدمات التعليمية، العدد 12، 2011 ، ص44، 43.

² - سورة الصافات، الآية 153.

³ - الأستاذ عبد الحليم ريوقي، مجلة علمية دراسات أدبية ، مرجع سابق، ص 45.

إن مدار النظر في الأطر الحجاجية على مبدأ الإذعان والطاعة فهما يمثلان الغاية القصوى التي عليها يرتكز كل عمل حجاجي، و هذان المبدأان شديدا الوصل بمقولة الجمهور.

و الجمهور مقولة قديمة تركزت عليها جل الخطابات، و قد كان الزمخشري يعي الوعي كله خطورة مقولة الجمهور الذي افترض ملاحمه عندما أدار خطابه على قيمة تحاورية تجريدها "فإن قلت (...)قلت..." و هي بنية يتلازم فيها مقال الزمخشري التأويلي مع آفاق انتظار الجمهور يشترط ويطلب ، يعبر ويجد.

إن انشغال الزمخشري بالجمهور باعتباره مقولة مجردة يفترضها الحاج ويتصور هيئتها.¹

فإن جمهور الزمخشري جمهور مركب تمتزج داخله قيم الجمهور الخاص (الفرقة المناوئة) مع قيم الجمهور الكوني (المؤمنون، الداخلون الجدد في الكوسموس الديني العقلي) امتزاجا يجعل المرمى الحجاجي في مرمى موسعا ، يستهدف لما يتضمنه من قيم مشتركة، و تصورات مطلقة، كل متقبل بدعواه إلى الاعتقاد في صحة ما يرد عليه و يناشد الإيمان بكل فكرة بسطت على عقله أو وردت على خاطره.

و قد كان الزمخشري معتزلي المذهب، حيث نظم خطبة كتابه تنظيما خاضعا لمقتضيات الترتيب العقلي، نظرا إلى أن علم الكلام آلة الزمخشري في الحجاج، و سبيله في الانتصار، (...) هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية "... حتى يجعل التوافق بين الحاج والمحجوج بطريقة يلتزم فيها بضوابط العقل التي تزين للسامع صحة الحقائق، بما أن مصدرها العقل و مثبتها اللب.²

إن المفهوم المركزي الذي يدير خطاب الزمخشري التأويلي إنما هو مفهوم المجاز باعتباره مفهوما بلاغيا، حيث أن الاستناد إلى المجاز مبدأ عند الزمخشري جعله يتصور المعنى تصورا يعي

¹ - ينظر، علي الشبعان، الحجاج والحقيقة آفاق التأويل، بحث في الإشكال و الاستراتيجيات ، دار الكتاب الجديد المتحدة ط1، 1010، ص ص: 228، 229.

² - المرجع نفسه، ص 243.

أن بهذا الحاصل خانتين، خانة الحقيقة و خانة المجاز. فالتواجد الحاصل بين مفهوم المجاز و مكوناته (الاستعارة ، الكناية التلويح...) نشأت عنه حقائق ذات قيم حجاجية اعترض من خلالها الزمخشري على تصورات أهل الظاهر بجميع فرقهم.¹

و جعل الزمخشري في الحجاج والجدل مترادفين، و الجامع بينهما هو المخاصمة و الخصام، انطلاقا من تفسيره للقرآن الكريم و ذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾² أتحاجونا: أجادلونا في شان الله.³

و أيضا من خلال تفسيره قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾⁴ حيث يقول هو شديد الجدال والعداوة. فقد جمع هنا بين معنى الحجاج و الجدل بمعنى المخاصمة.⁵

مما سبق نستنتج أن الحجاج عند الزمخشري يبنى على الحوار و المشاركة من خلال اهتمامه بالجمهور و تركيزه في محاوره جمهوره على الجدل الممود، و هذا كله يبنى على عنصر رئيس و هو التأويل في تفسيره للقرآن الكريم.

● عند السكاكي:

¹ - الأستاذ عبد الحليم ريوقي، مجلة علمية دراسات أدبية، مرجع سابق، ص293.

² - سورة البقرة، الآية 139.

³ - الزمخشري، الكشف، تح: الشيخ أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، فتحي عبد الرحمان أحمد حجازي، مكتبة العبيكة، الرياض، ط1، 1998، ص636.

⁴ - سورة البقرة، الآية 204.

⁵ - الزمخشري، الكشف، مرجع سابق، ص415.

لعل المحطة الأولى للدرس الحجاجي تظهر حين يدرج السكاكي (ت626هـ) "المقام في تعريفه لعلمي "المعاني" و"البيان" فيقول: "إذا تحققت أن علم المعاني و البيان هو معرفة خواص تراكيب الكلام ومعرفة صياغات المعاني ليتوصل بها إلى توفيه مقامات الكلام حقها بحسب ما يعني به قوة ذكائك، و عندك علم أن مقام الاستدلال بالنسبة إلى سائر مقامات الكلام جزء واحد من مجملتها و شعبة فريدة من درجتها علمت أن تتبع تراكيب الكلام الاستدلالي و معرفة خواصها مما يلزم صاحب علم المعاني و البيان.¹

لقد جعل السكاكي الاستدلال بمثابة الشرط اللازم في الكلام و من شروط صاحب علمي المعاني و البيان: "و ذلك لعظمة الانتفاع بالدليل كما يقول حيث ربط السكاكي علم المعاني والبيان بالاستدلال في توطئة له باحتياج" الكلام إلى تكملة علم المعاني و هي تتبع خواص تراكيب الكلام في الاستدلال و لولا إكمال الحاجة إلى هذا الجزء من علم المعاني و عظم الانتفاع به لما اقتضانا الرأي أن نرخي عنان القلم فيه علمنا بأن من أتقن أصلا واحدا من علم البيان كأصل التشبيه و الكناية والاستعارة و وقف على كيفية مسافة لتحصيل المطلوب به أطلعه ذلك على نظم الدليل.²

يشترط السكاكي في المتكلم أن يكون عالما بالبيان و المعاني خاصة إذا كان المقام مقام استدلال فعليه نظم الدليل يمكن قصده في السامع كتمكينه في نفسه ، و هذا للعلاقة القائمة بين الخطاب و القصد منه وعلاقة السامع بالدليل، "فخصوصية التركيب تعني الربط بين كفيته وصورته و وظيفته في هذا المقام أو ذلك، لذلك اعتبر السكاكي العلاقة بين التركيب و القصد منه بمثابة علاقة ملزوم و لازم يجري فيها قصد المتكلم الذي عليه دليل في التركيب مجرى اللازم عن التركيب.³

¹ - السكاكي، مفتاح العلوم، نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، لبنان، 1987، ط1، ص332.

² - المرجع السابق، ص435.

³ - محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، دراسة تحليلية نقدية لمظام المعرفة في الثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية لبنان، 2004، ط7، ص92. نقلا عن عباس حشاني، خطاب الحجاج و التداولية، مرجع سابق، ص36.

و ما التحام العلوم الثلاثة علم الصرف و علم النحو و علم المعاني إلا لجعل الخطاب مقصودا وهادفا، فهي علوم الخطاب. أما ما يتوخاه منه فهو ضبط قوانين هذا الخطاب.¹

و لربط ما جاء به السكاكي بالدرس التداولي الحجاجي " نظم الدليل " أي أن المتكلم حين يكون له نية التأثير في السامع عليه نظم الحجة والدليل في خطابه ، و لهذا كان "مفتاح السكاكي" على علاقة بالحجاج و ما نظم الدليل إلا ما يقصده المحاجج من وضع حجة في كلامه ليقنع بها السامع.² ويبدو أن السكاكي يميّز كذلك بين مقتضى الحال ة مقام الكلام، وهو تمييز لطيف دقيق، فالظاهر من منطوق نصه أو مقام الكلام عنده هو الأغراض التي يساق لها الكلام سواء كانت أعمالا قولية كبرى كالتشكر و الشكاية والتعزية أم أعمال تأثير بالقول كالترغيب والترهيب.³

يقول السكاكي في هذا : "لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة ؛ فمقام الشكر يباين مقام الشكاية و مقام التهنة يباين مقام التعزية و مقام المدح يباين مقام الذم و مقام الترغيب يباين مقام الترهيب و مقام الجدّ يباين مقام الهزل"⁴. اختلاف المقام يعني اختلاف الخطاب من جهة، و قيمة المقام في تمييز نوعية التخاطب من جهة أخرى من شأنه أن يساعد الباحث في اكتشاف العلاقة بين المحاجج و المحاجج ذلك بالنظر إلى المقام و المتكلم هل شكره أم ذمّه هنّاه أم أهانه رغبه أم رهّبه، و ما دام الحجاج طبيعة في كل خطاب فهو مختلف من خطاب لآخر و كل خطاب له طريقة حجاج حسب مقامه.

و ما نخلص إليه هو أن إنتاج الخطاب يراعي فيه المقام و استعمال الحجج الناجحة و يراعي لنجاحها حال السامع والمقام.

¹ - شكري المبخوت، الاستدلال البلاغي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2010،

² - عباس حشاني، خطاب الحجاج و التداولية، مرجع سابق، ص36.

³ - شكري المبخوت، الاستدلال البلاغي، مرجع سابق، ص101. نقلا عن المرجع نفسه، ص36.

⁴ - السكاكي، مفتاح العلوم، مرجع سابق، ص256. نقلا عن عباس حشاني، خطاب الحجاج و التداولية، مرجع سابق، ص37.

و المصطلح الحجاجي الذي يمكن رصده في أقوال السكاكي و إدراجه ضمن البحث والدرس الحجاجي هو الكلام الاستدلالي، و نظم الدليل، و القصد ومراعاة حال المتكلم والسامع والمقام.¹

و الخبر عنده أنواع طلبية و إنكاري.... و هذا الأخير يلزمه تأكيد و مثاله: "إني صادق لمن ينكر صدقك إنكاراً، و إني لصادق لمن يبالغ في إنكار صدقك، و والله إني لصادق"². بالنظر إلى سياق التخاطب والمقام نجد المثال الأول المخاطب بصدد إخبار و المثال الثاني نفى للشك أو تردد حصل لدى المخاطب، أما المثال الثالث فهو ردّ لأن المخاطب ينكر صدقك³.

يتضح أن علم المعاني يدرس ضروب الاستدلال المتولدة عن علاقة القول بدلالته الوضعية بمقتضى الحال في مقام من المقامات⁴، يقول في علم المعاني: "و اعلم أن علم المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة و ما يتصل بها من الاستحسان و غيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام ما يقتضي الحال ذكره".⁵

و يتضح من قول السكاكي أن الحجاج يمكن وصفه من المتكلم، كما رأينا أنه يحتاج من أجل إثبات قضية؟ أ هو يحتاج من أجل نفيها؟ هذا مع مراعاة حال السامع و مقاله أ هو مساند إي جاهل لما يسمعه و يتلقاه أم رافض أم منكر؟

¹ - عباس حشاني، خطاب الحجاج و التداولية، مرجع سابق، ص37.

² - السكاكي، مفتاح العلوم، مرجع سابق، ص: 258، 259. نقلاً عن عباس حشاني، خطاب الحجاج و التداولية، مرجع سابق، ص37.

³ - عباس حشاني، خطاب الحجاج و التداولية، مرجع سابق، ص37.

⁴ - ينظر، شكري المبخوت، الاستدلال البلاغي، مرجع سابق، ص105. نقلاً عن عباس حشاني، خطاب الحجاج و التداولية مرجع سابق، ص38.

⁵ - السكاكي، مفتاح العلوم، مرجع سابق، ص247. نقلاً عن عباس حشاني، خطاب الحجاج و التداولية، مرجع سابق، ص38.

و يظهر البحث الحجاجي أكثر عند السكاكي في تعريفه للبيان بقوله:¹ "وأما علم البيان فهو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه و بالنقصان، ليحترز بالوقوف على ذلك من الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه"²، و موضوعات أو أبواب علم البيان ثلاثة رئيسية: التشبيه و منه التمثيل، و المجاز و منه الاستعارة و الكناية، و لكل أنواع وأقسام"³ و ما يمكنه القول أن لأبواب البيان وظائف حجاجية منها: حجاجية التشبيه وحجاجية الاستعارة و حجاجية الكناية، و مصطلح المستدل عند السكاكي هو ما يقابل المحاجج في البحث الحجاجي.⁴

ويريد السكاكي أن يبين مسألة أساسية واحدة و هي أن آليات التفكير عند ممارسة القياس المنطقي هي نفسها آليات التفكير عند ممارسة أي أسلوب من أساليب البيان.⁵

فنستنتج من كل هذا أن السكاكي يجعل البيان وسيلة للاستدلال، و أن الأساليب البيانية ذات طبيعة حجاجية استدلالية، إذ يعدّ الصورة البيانية مقدمة كبرى تؤدي في نهاية الأمر إلى استنتاج.⁶

و الواضح أن ما أراده السكاكي ليس بإقحام المنطق اليوناني في البلاغة العربية، بل أراد أن يبين كيف أن الأساليب البيانية العربية والأساليب الاستدلالية تلتقي عند نهاية التحليل، عند آلية واحدة هي اللزوم.¹

¹ - عباس حشاني، خطاب الحجاج و التداولية، مرجع سابق، ص38.

² - السكاكي، مفتاح العلوم، مرجع سابق، ص249.

³ - محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط4، 1992، ص98. نقلا عن عباس حشاني، خطاب الحجاج و التداولية، مرجع سابق، ص38.

⁴ - عباس حشاني، خطاب الحجاج و التداولية، مرجع سابق، ص38.

⁵ - محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، مرجع سابق، ص99. نقلا عن عباس حشاني، خطاب الحجاج و التداولية، مرجع سابق، ص40.

⁶ - ينظر، جميل عبد المجيد، البلاغة و الاتصال، ص167. قلا عن عباس حشاني، خطاب الحجاج و التداولية، مرجع سابق ص40.

و لقد جعل السكاكي المعاني و البيان تميمًا للنحو، ثم انتبه إلى أن المعاني قاما على علم الحدّ و الاستدلال، كما يظهر هذا في المخطط الآتي:

النحو → المعاني و البيان → الحد و الاستدلال

و يتبين من هذا المخطط أن السكاكي جعل النحو و الاستدلال على حدّ سواء في خدمة طرف ثالث موجود بينهما هو علم المعاني مكملًا بعلم البيان.²

من خلال دراستنا للحجاج عند السكاكي نستنتج أنه ركّز في بلاغته التواصلية على علم المعاني و علم البيان، كما تنبّه إلى الاستدلال و اللزوم في البيان، فتمّم علم المعاني بعلم الاستدلال، كما ركّز على المستمع و المخاطب؛ فالكلام يتحدد بطبيعة المقام و مطابقة الكلام لمقتضى الحال بمراعاة سياقات الخطاب و أحوال المخاطبين. فبلاغة السكاكي تواصلية إقناعية، وهو يربطه للبلاغة بمناسبة المقام و الأحوال، و بمراعاة المقاصد يمنحها صبغة تداولية غير بعيدة عن جهود التداولية اللسانية التداولية .

• عند حازم القرطاجني:

جعل حازم (ت684هـ) مصنفه "منهاج البلغاء و سراج الأدباء" أقسامًا و جعل الأقسام مناهج و جعل المناهج معارف و مآم و إضاءات و تنويرات، و هي طريقة متقدمة في التصنيف بالنسبة إلى عصره، و قد عقد المنهج الثالث من القسم الثاني الخاص بالمعاني³ "في الإبانة عما به فتقوم صنعتا الشعر و الخطابة من التخييل و الإقناع و التعريف بأنحاء النظر في كلتا الصناعتين"⁴

¹ - ينظر، محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، مرجع سابق، ص101. نقلا عن عباس حشاني، خطاب الحجاج و التداولية مرجع سابق، ص41.

² - محمد العمري، البلاغة العربية أصولها و امتداداتها، مرجع سابق، ص483.

³ - عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع دراسة نظرية و تطبيقية، مرجع سابق، ص150.

⁴ - أبو الحسن حازم القرطاجني، منهاج البلغاء و سراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن خوجة، الدار العربية للكتاب تونس، 2008، ص62.

كما عقد مأماً من المنهج الثالث من القسم الرابع الخاص بالأسلوب¹ في "مذهب المروحة بين المعاني الشعرية والمعاني الخطابية"²، ناهيك عن إشارات متفرقة في الكتاب إلى مقومات القول الخطابي و القول الشعري، و هذا كله يؤكد عناية حازم بالأقاويل المقدمة في كتابه المنهاج و إن كان جعل معظمه للشعر، و لم يذكر الخطابة إلا تمييزاً للشعر وإبرازاً لخصائصه، فصناعة الخطابة بلاغة تعتمد³ في أقاويلها على تقوية الظن لا على إيقاع اليقين اللهم إلا أن يعدل الخطيب بأقوايله عن الإقناع إلى التصديق⁴. أما الأقاويل الشعرية فاعتمادها⁵ على تخيل الأشياء التي يعبر بالأقاويل و بإقامة صورها في ذهن بحسن المحاكاة⁶، غير أن حازما و هو يجعل الإقناع خصيصة الخطابة والتخيل خصيصة للشعر لم يمانع من وقوع شيء من الإقناع في الشعر أو شيء من التخيل في الخطابة يقول:⁷ "...و استعمال الإقناعات في الأقاويل الشعرية سائغ إذا كان ذلك على جهة الإلماع في الموضع، بعد الموضع، كما أن التخيل سائغ استعمالها في الأقاويل الخطابية في الموضع بعد الموضع، لأن الغرض في الصناعتين واحد، و هو إعمال الحيلة في إلقاء الكلام من النفوس بمحل القبول تتأثر لمقتضاه، فكانت الصناعتان متآخيتين لأجل اتفاق المقصد..."⁸ و هو بذلك يقرّ بالتداخل بين الخطابي و الشعري و بين الأقاويل الخطابية و الأقاويل الشعرية، و جعل علم البلاغة يشتمل على صناعتي الشعر و الخطابة لاشتراكهما في مادة المعاني و افتراقهما⁹ في تصور التخيل والإقناع¹⁰.

- 1 - عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع دراسة نظرية و تطبيقية، مرجع سابق، ص151.
- 2 - أبو الحسن حازم القرطاجني، منهاج البلغاء و سراج الأدباء، مرجع سابق، ص361.
- 3 - عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع دراسة نظرية و تطبيقية، مرجع سابق، ص151.
- 4 - أبو الحسن حازم القرطاجني، منهاج البلغاء و سراج الأدباء، مرجع سابق، ص62.
- 5 - عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع دراسة نظرية و تطبيقية، مرجع سابق، ص151.
- 6 - أبو الحسن حازم القرطاجني، منهاج البلغاء و سراج الأدباء، مرجع سابق، ص62.
- 7 - عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع دراسة نظرية و تطبيقية، مرجع سابق، ص151.
- 8 - أبو الحسن حازم القرطاجني، منهاج البلغاء و سراج الأدباء، مرجع سابق، ص361.
- 9 - عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع دراسة نظرية و تطبيقية، مرجع سابق، ص152.
- 10 - أبو الحسن حازم القرطاجني، منهاج البلغاء و سراج الأدباء، مرجع سابق، ص19.

كما أكد أن هذه المراوحة بين المعاني المقنعة و المعاني المخيلة أكثر تأثيراً في النفوس، و تحديداً للنشاط و تحصيلاً للغرض من الكلام، كما تحدث حازم عن المقاييس في الأقاويل الشعرية والخطابية، فالقياس عنده¹ قول مؤلف من مقدمات و قضايا إذا كانت مسلّمة و رتبت الترتيب الذي يجب في القياس الصحيح لزم عن ذلك القول المرتب قول آخر يسمى نتيجة² إلا أن هذه القياسات، و المقاييس بتغيير حازم، لا ترد³ في الأقاويل الشعرية و الخطابية المقصود بها البلاغة إلا محذوفة إحدى المقدمتين أو النتيجة في الحملات و محذوفة الاستثناءات و النتائج في الشرطيات لأن القياس كلام تلازمت فيه القضايا فصار مسئماً بطوله مع ما يقع فيه من تكرار الأسوار والحدّ الأوسط و أجزاء النتيجة، فلما كان القول القياسي قد لزمه الطول و التكرار لم يكن لهم بدّ فيما قصدوا غيره البلاغة من كلامهم، من أن يعدلوا مقداره و يحبطوا تكراره، فإن الكلام إذا خفّ واعتدل حسن موقعه من النفس، و إذا طال وثقل اشتدت كراهة النفس له⁴. وقد نبّه حازم إلى أن المقصود له هو الاعتدال و التوسط بلا إفراط و لا تفريط.

و يرى حازم أن الأقاويل القياسية المبنية على التخيل والإقناع تكون⁵ خطابية بما يكون فيها من إقناع شعري بكونها متلبسة بالمحاكاة و الخيالات⁶، كما كشف حازم ما به تصوير الأقوال الكاذبة مقنعة موهة من تمويهات استدراجات⁷، فالتمويهات تكون فيما يرجع إلى القول والاستدراجات تكون بتهيؤ المتكلم بهيئة من يقبل قوله... حتى تصوير بذلك كلامه مقبولا عند

¹ - عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع دراسة نظرية و تطبيقية، مرجع سابق، ص 151، 152.

² - محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، مرجع سابق، ص 66.

³ - عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع دراسة نظرية و تطبيقية، مرجع سابق، ص 153.

⁴ - أبو الحسن حازم القرطاجي، منهاج البلغاء و سراج الأدباء، مرجع سابق، ص 65.

⁵ - عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع دراسة نظرية و تطبيقية، مرجع سابق، ص 155.

⁶ - أبو الحسن حازم القرطاجي، منهاج البلغاء و سراج الأدباء، مرجع سابق، ص 67.

⁷ - عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع دراسة نظرية و تطبيقية، مرجع سابق، ص 155.

الحكم وكلام خصمه غير مقبول"¹، و هذا قول يكشف عن وعي حازم بالوظائف التداولية والحجاجية للأقاويل، و بدور المتكلم و المخاطب في بناء الخطاب الحجاجي إقناعا ومغالطة².

و الخلاصة أن حازما و إن كان اهتمامه بالشعر في مصنفه منهاج البلغاء و سراج الأدباء" أكثر من اهتمامه بالخطابة، إلا أنه بؤاً الأقاويل والمعاني المقنعة مكانة مميزة في الشعر كما في الخطابة، و هو بذلك يؤسس لعلاقة تكاملية بين الشعري و الخطابي أو بين التخيلي و الإقناعي و يضبط مستويات التداخل و التخرج بين التخييل والتصديق باعتبارهما موضوعا للبلاغة، حيث يغدو للمكونين معا وظائف فنية و تداولية و حجاجية تخاطب في المتلقي العقل والعاطفة تحقيق الإقناع و الإمتاع و الاستمالة مع تفاوت في النسب بينها حسب طبيعة الخطاب و الغرض منه.

من خلال دراستنا للحجاج عند حازم القرطاجي نستنتج أن البلاغة عنده تتكون من عنصرين أساسيين هما الشعر و الخطابة، و هما يشتركان في مادة المعاني التي تمثل عنده منطقة مركزية للتقاطع بين الشعري و الخطابي، غير أنه جعل الإقناع حصيصة للخطابة، و التخييل حصيصة للشعر، ولا مانع من وقوع شيء من الإقناع في الشعر، و شيء من التخييل في الخطابة ما دام الهدف هو التأثير في المتلقي و استمالاته. فهو يرى أن الشعر قد يستعمل للإقناع.

● عند عبد القاهر الجرجاني:

تعدّ ثنائية اللفظ والمعنى من الثنائيات التي شغلت الدرس النقدي و البلاغي كثيرا حتى القرن الهجري الخامس، إذ سيقدم عبد القاهر الجرجاني(ت816هـ) في "نظريته في النظم" و التي احتوت بشكل كبير هذا النقاش النقدي والبلاغي حول اللفظ و المعنى، فماذا يقصد الجرجاني بالنظم؟ و ما أبعاده الحجاجية؟

¹ - أبو الحسن حازم القرطاجي، منهاج البلغاء و سراج الأدباء، مرجع سابق، ص 64.

² - عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع دراسة نظرية و تطبيقية، مرجع سابق، ص 155.

لقد عدّل عبد القاهر الجرجاني مادة "الأسرار" في "الدلائل" و كماها¹ و ربطها بمقتضيات النظم النحوي و جعلها تابعة له، فلم تعد القمة موجودة في اتجاه تنامي الغرابة، بل في اتجاه مناسبة الكلام للمقاصد².

فقرر أن لا معنى لعبارات البلاغة و الفصاحة والبيان و البراعة سوى "وصف الكلام بحسن الدلالة وتمامها فيما له كانت دلالة.... و لا جهة استعمال هذه الخصال غير أن تأتي المعنى من الجهة التي هي أصحّ لتأديته، و تختار له اللفظ الذي هو أخص به وأكشف عنه و أتمّ له، وأحرى بأن يكسبه نبلا، و يظهر فيه مزية"³.

و هكذا فلا قيمة لأي لفظ متجرد من مهمته داخل السياق إلا في كونه لفظ قاموسيا، كما أن المعاني تتوه في المخيلة ما لم تعتصم باللفظ الدال عليه المحصن لدلالاتها⁴. و هذا هو أساس نظرية النظم، يقول الجرجاني: "و هل تجد أحدا يقول: "هذه اللفظة فصيحة" إلا و هو يعتبر مكانها من النظم و حسن ملائمة معناها لمعاني جاراتها و فضل مؤانستها لأخواتها"⁵.

و بهذا المعنى يصبح النص "في الواقع هو تأليف الألفاظ، و الأولوية في الحقيقة لا تعود إلى اللفظ، بل إلى التأليف و التركيب، و بعبارة أخرى إن النص هو بنية تركيبية تنظيمية كبرى ذات وظائف أدبية و تداولية والجملة، لا اللفظ، هي البنية التركيبية التنظيمية السفلى التي تؤلف البنية الكبرى أي النص".

¹ - ينظر، عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع دراسة نظرية و تطبيقية، كنوز المعرفة، عمان، 2016، ص 130، 131.

² - محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، مرجع سابق، ص 353.

³ - ينظر، عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مرجع سابق، ص 43.

⁴ - عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع دراسة نظرية و تطبيقية، مرجع سابق، ص 131.

⁵ - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مرجع سابق، ص 44.

و قد جعل الجرجاني تعريف النظم مقترنا بالنحو ، فالنظم ليس : "إلا أن نضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو و تعمل على قوانينه و أصوله و تعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيع عنها"¹.

و هكذا لقيت نظرية النظم عند الجرجاني "الانتباه إلى نحو النص بمعنى منطق اللغة الداخلي الذي من دونه لا يمكن للخطاب أن يؤدي وظائفه الحجاجية الإقناعية" فكشف بذلك "عن الطابع الاستدلالي للأساليب البيانية البلاغية (و أقامت) مطابقة شبه تامة بين نظام الخطاب ونظام العقل.

و لقد أرجع عبد القاهر الأثر الانفعالي و الجمالي الذي يثيره النص في نفس المتلقي إلى توخي المعاني النحوية، فيؤدي النص وظيفة تأثيرية انفعالية و حجاجية و يغدو للتركيب بالإضافة إلى أبعاده الفنية أبعاد عقلية و تداولية وتأثيرية.²

و قد رهن عبد القاهر نجاعة الخطاب، "بملاءمة صورته أو صوره التركيبية للغرض الذي من أجله تم إنتاج الخطاب، و مراعاة المقام تعني أن الدلالة على المقاصد و الأغراض تقتضي استعمال ما يلائمها من أشكال التركيب و صورته" فمراعاة الغرض و القصد و المقام تقتضي الربط بين التركيبي و الدلالي و التداولي.

– حجاجية الاستعارة والتمثيل:

تميز الإنتاج البلاغي للجرجاني بخاصيتين متعارضتين، أولهما أنه إنتاج جدالي اعترض فيه على مقولات مشهورة لأسلافه من نقاد البلاغة و الثانية أنه إنتاج تأسيسي أنشأ مقولات وأدوات في النقد البلاغي³. و يرى طه عبد الرحمان أن أهم معالم هذا الإنتاج البلاغي المتميز

¹ – عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع دراسة نظرية و تطبيقية، مرجع سابق، ص 132

² – المرجع نفسه، ص 133.

³ – المرجع السابق نفسه، ص ص: 134، 135.

يكن في قول الجرجاني بمفهوم "الإدعاء"¹، فحاول أن يبين المبادئ الإجرائية التي يبنى عليها مفهوم الإدعاء فعددها في ثلاث مبادئ: مبدأ الترجيح المطابقة ومبدأ ترجيح المعنى و مبدأ ترجيح النظم.²

ويرى طه عبد الرحمان أن عبد القاهر اهتم بمفهوم آخر و إن كان لم يصرح به و هو مفهوم "الاعتراض" بل "كاد أن يصرح بما يضره من أن الادعاء و الاعتراض يجتمعان في القول الاستعاري اجتماعا ، و كان على وشك أن يسقط بذلك أقوى المبادئ رسوخا في النفوس وأمكنها سلطانا على العقول و هو مبدأ عدم التناقض"³.

و الخلاصة أن للاستعارة عند عبد القاهر وظيفة تداولية حجاجية و " تعني حجاجية الاستعارة أن لها وظيفة مركبة يرتبط فيها العقل بالإحساس الفكري و النفسي، فالاستعارة تسعى إلى إحداث قطيعة و قلب انتظارات و مفاجأة توقعات و إعادة النظر في نظام الخطاب، و هي بهذا تسمح في الوقت نفسه بالإحساس و التفكير" و هي الوظيفة ذاتها التي يؤديها التمثيل من خلال قدرته على الموازنة بين التأثير العاطفي والاحتجاج العقلي.

من خلال هذا الطرح توصلنا إلى أن للجرجاني جهدا بارزا في ترسيخ البلاغة الإقناعية وتطويرها من خلال إدخال مفاهيم جديدة تواكب الدراسات الحديثة كمفهوم الادعاء الذي من خلاله يجعل النص يعتمد على كفاءة القارئ للوقوف على معانيه.

أما الأثر النفسي و الجمالي الذي يثيره النص في نفس المتلقي فيرجع إلى جودة النظم و توخي معاني النحو، و بذلك يؤدي النص وظيفة تأثيرية انفعالية و حجاجية، فبلاغة الجرجاني بلاغة خطابية مقصدية تداولية.

ب - الحجاج في الفكر العربي الحديث:

¹ - طه عبد الرحمان، اللسان والميزان، مرجع سابق، ص304.

² - عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع دراسة نظرية و تطبيقية، مرجع سابق، ص135.

³ - طه عبد الرحمان، اللسان والميزان، مرجع سابق، ص309.

إن مفهوم البلاغة قد يتغير في أية حضارة تبعا للتطورات المجتمعية و الثقافية و الفكرية التي أحاطت به، و لهذا فهو قد يتباين و يختلف من حضارة إلى أخرى، و البحث في مفهوم البلاغة الحجاجية الإقناعية في دراساتنا العربية المعاصرة يعطي صورة واضحة لحركة التغيير و التطوير التي يدعو إليها المثقفون و المعنيون بهذا الشأن، بما يتلاءم مع التطور السريع لمقومات العالم الثقافي، لكنها دعوة تحتاج إلى إعادة نظر لما أنتجه الدارسون حولها، و متابعة تطبيقهم لأسسها على البلاغة العربية التراثية، و الاطلاع على آلية استلزامهم للتجربة الغربية المنطلقة من أصول فلسفية قديمة، فمحاولة نقل التجربة بكل جذورها، و إقحام فكرة دراساتنا اللغوية يدخل ضمن محور الدراسات القرآنية و البلاغية كونه يتعرض للتحديات التي تمر بها البلاغة المعاصرة، و يتعرض لآلية من آليات تطوير ميادينها، فالبحث لا يحث على الانقطاع عن الحداثة بل الافادة منها، ولكنه يركز على خصوصية البلاغة العربية .

● عند محمد العمري:

تظهر جهود العمري من خلال ترجماته و مؤلفاته التي لعل أحدثها دراسته الطموحة "البلاغة العربية: أصولها و امتداداتها" التي حاول من خلالها التأصيل للبلاغة العربية، و تقصي امتداداتها.

إن محمد العمري قد اهتم بالبلاغة العربية القديمة، باحثا في نصوصها الإبداعية الشعرية والنثرية، و مما يتصل بهما من خطابات نقدية ودورها في بلورة مفهوم البلاغة العربية. ويستعين محمد العمري في عملياته البحثية هذه بجهاز مفاهيمي يجمع إلى القديم وعيا جيدا بالبلاغة المعاصرة وإحساسا مبكرا ببلاغة الحجاج.

إن المتتبع لبحوث محمد العمري في مجال البلاغة لصفة عامة ليلاحظ أن ثمة هدفا خفيا يحركه يشكل بؤرة اهتمامه، و هو التأكيد :

أولاً: على وجوه بلاغيتين متميزتين في تاريخ النقد العربي: إحداهما بلاغة نثرية خطابية و الثانية بلاغة شعرية.

ثانياً: ما يمكن أن يحدثه تداخل وتفاعل مفاهيم وخصائص كلا الجنسين من ثراء نقدي تأويلي.

و يرى محمد العمري أن "البلاغة" في المنظور الحديث تعني جهود السكاكي في مفتاح العلوم والذي ركّز فيه على علم المعاني و ما يتصل به من خواص التراكيب الكلامية التي تحفظ وتحدد معايير الخطأ و الصواب، و يدخل علم المعاني في البيان بمعناه الشامل الذي يضبط قوانين الخطاب الشفوي عامة. ويعد الجاحظ أفضل منظّره¹، و يعدّ محمد العمري أحد البلاغيين العرب ظهر عنده الاهتمام بالمقولات البلاغية خاصة، سواء من خلال دراسته المبكرة حول بعض مظاهر الإقناع في الخطابة العربية القديمة، أو من خلال جهوده في الترجمة إذ حاول أن يعيد رسم خارطة عامة للبلاغة العربية القديمة، من روافدها و اتجاهاتها، و امتداداتها و خصائصها الصوتية، والنحوية والمنطقية.²، كما ركّز العمري على المقام في عملية الحجاج، من خلال تعرضه للمحاورة بين الأنداد؛ إذ أن المخاطبة الاجتماعية تتسم بالنصح و المشاورات، لأن الخطاب يتناول العلاقة بين الناس و تنظيم المجتمع، و أن الخطاب الوجداني هدفه المشاركة في الأحزان والمسرات. و يعتمد الخطاب الموجه في مجمله على الحجج المقنعة، و الأحوال المؤثرة و التأثير الأسلوبية³، و يعرف البلاغة الجديدة الحجاجية بأنها علم الخطاب الاحتمالي الهادف إلى التأثير أو الإقناع أو هما معا إيهاما وتصديقا⁴ و يستهدف العمري التنبيه على البعد الإقناعي للبلاغة العربية، الذي كان حاضرا عند العلماء العرب القدامى و لا سيما قبل السكاكي.⁵

¹ - ينظر، محمد سالم الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، مرجع سابق، ص 255، 256..

² - المرجع نفسه، ص 287.

³ - ينظر، محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري و تطبيقي لدراسة الخطابة العربية الخطابة في القرن الأول نموذجاً، إفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2002، ص 62.

⁴ - محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول، إفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2012، ص 6.

⁵ - مثنى كاظم الصادق، أسلوبية الحجاج التداولي و البلاغي، مرجع سابق، ص 26.

نستنتج مما سبق أن العمري من خلال طرحه للحجاج أنه نظر للحجاج بطابع إقناعي من خلال تتبع التراث الخطابي العربي مركزا على عنصر من عناصر البلاغة العربية القديمة و هو الإقناع مستندا استنادا كليا على الأسس الأرسطية.

• عند أبي بكر العزاوي:

إن المتبع للمشروع الحجاجي للدكتور أبي بكر العزاوي و ذلك من خلال ثلاثة إسهامات بحثية هي: (اللغة، الحجاج، الخطاب و الحجاج، حوار حول الحجاج)، و هي إسهامات محكمة فيما بينها بالتكامل والترابط و ليست منفصلة أو متباعدة الانشغال، الأمر الذي يسمها بروح المشروع... إن موضوع هذا المشروع هو الحجاج في اللغة و الأستاذ العزاوي واضح في هذا الاختيار... فمدخله للدراسات الحجاجية ليس المنظور المنطقي و الفلسفي أو المنظور البلاغي، بل نظرية الحجاج في اللغة التي اقترحها و طورها ديكر و بذلك يختلف الدكتور العزاوي عن العديد من الدراسات الحجاجية السائدة في العالم العربي، و التي بقيت بعيدة عن هذه النظرية، و هذه أول سمة مميزة لمشروع الأستاذ العزاوي، لذلك سينشغل في إسهاماته الثلاثة يعرض هذه النظرية عرضا تبسيطيا بعيدا عن الاستغلال... و هذه سمة مميزة لمشروعه حيث عرض الأستاذ مرجعية هذه النظرية (التداولية و تطور نظرية أفعال الكلام) و بين أسسها وآليات اشتغالها، هكذا بين في مؤلفاته بأنها نظرية لسانية تدرس الحجاج في اللغة، أي باعتباره ظاهرة لغوية " فالحجاج فعل لغوي و وظيفة أساسية للغة الطبيعية، ما دامت اللغة تنجز تسلسلات داخل الخطاب من نمط استنتاجي"، و في توضيحه لهذه النظرية بسّط أكثر تعريف

الحجاج ليُجعله تقديمًا لمجموعة من الأدلة والحجج التي تؤدي إلى نتيجة معينة و التي يكون القصد منها التأثير في الآخر و إقناعه بفكرة أو تغيير آرائه و مواقفه بخصوص موضوع ما.¹

أسهم أبو بكر العزاوي في هذا المضمار بعدد من المقالات التي توزعت بين دراسة الشعر والنثر دراسة حجاجية.

و من هذه المقالات ما جاء بعنوان "نحو مقارنة حجاجية للاستعارة"، إذ طُبّق فيه مفهوم السلم الحجاجي على الاستعارة مستنتجاً أن الاستعارة تفضّل الحقيقة من ناحية قوتها الحجاجية "إذ يبدو (.....) أن الأقوال الاستعارية أعلى حجاجياً من الأقوال العادية" لذلك يقدم المرسل الحجة الاستعارية في بعض السياقات بوصفها الدليل الأقوى، خصوصاً ما صنّفه على أنه الاستعارة الحجاجية، لأنها "تدخل ضمن الوسائل اللغوية التي يستغلها المتكلم بقصد توجيه خطابه، وبقصد تحقيق أهدافه الحجاجية، و الاستعارة الحجاجية و هي النوع الأكثر انتشاراً لارتباطها بمقاصد المتكلمين و بسياقتهم التخاطبية و التواصلية".

كما تطرق للحجاج في عمل آخر، مركزاً على ما يمنحه المرسل من سلطة في السياق... باعتبار وظيفة الحجاج هي وظيفة اللغة الأولى معتمداً على توظيف السلم الحجاجي في تحليله للخطاب... كما عرض للحجاج من وجهة نظر مختلفة — تعنى ببيان كيفية توظيف المغالطة في الحجاج في مقالة مستقلة بعنوان "الحجاج المغالطي بين المفهوم و المقصود".²

شرح الدكتور أبو بكر العزاوي بشكل بيداغوجي و علمي عناوين آليات اشتغال هذه النظرية، فتوقف عند السلم الحجاجي بوصفه علاقة ترتيبية بين الحجج وقوانينه (النفي، الإبطال الخفض، القلب)، و ما يرتبط به من اتجاه حجاجي يقوم على الروابط أو الألفاظ أو السياق التداولي و الخطابي العام، و بيّن كيف تشغل الروابط في تنظيم و إدراج الحجج وكيف تكون هذه الحجج نسبية و سياقية و قابلة للإبطال.

¹ - ينظر، أبو بكر العزاوي، الحجاج اللغوي، عالم الكتاب الحديث، الأردن، ط1، 2017، ص ص: 65، 66.

² - ينظر، عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مرجع سابق، ص ص: 452، 453.

و لقد ميّز الأستاذ بشكل سلس و مضبوط بين الروابط الحجاجية و العوامل الحجاجية. الروابط تربط بين قولين، و تسند بكل قول دورا محددًا في الاستراتيجية العامة (لكن، لا سيما، بل). أما العوامل فتقوم بحصر وتقييد الإمكانيات التي تكون لقول ما (كاد، ربما، ثريبا) كما شرح الأستاذ المبادئ الحجاجية، بوصفها معتقدات مشتركة و إيديولوجيات جماعية عامة ونسبية .

و ثالث سمة مميزة لمشروع الدكتور أبي بكر العزاوي هو التريل الدقيق لنظرية الحجاج في اللغة، واشتغل أبو بكر العزاوي على بعض الروابط الحجاجية في اللغة العربية فتابع بل و لكن وحتى... ومن خلال أمثلة قرآنية وجمل مستقاة من الحوارات اليومية العادية، و من خلال أمثلة شعرية ونصوص نثرية قرائية... و بالاستناد إلى الدرس اللغوي العربي القديم استنتج المظاهر الحجاجية لهذه الروابط و استعمالها الحجاجي و علاقتها بالمعنى الضمني و المضمّر، و ما تؤمنه من علاقات حجاجية مختلفة (النفي، التعارض، الإيجاب).

كما توقف عند دورها في تقوية الحجاج حسب موقعها ومكانها في التسلسل الكلامي... و بتركيزه على الروابط يكون قد اختار تحليلا حجاجيا مجهريا دقيقا، كما أن تحليل هذه الروابط يكشف أهميتها.¹

و رابع سمة مميزة لهذا المشروع و هي التوسع، فقد تابع الاستعارة كاشفا بعدها الحجاجي و لم ينظر لها على أنها نوع من أنواع الزخرف اللفظي و البياني، بل اعتبرها ذات قوة حجاجية أعلى من القوة الحجاجية للتعبير الحجاجي، فهي أكثر تأثيرا. إن الاستعارة الحجاجية لا تكون مقصودة لذاها بل ترتبط بالمتكلمين وأهدافهم الإقناعية هي الأكثر انتشارا لارتباطها بمقاصد المتكلمين و سياقتهم التخاطبية و التواصلية .

و تظهر سمة التوسع من خلال انتقاله من تحليل الجمل إلى الاشتغال على الخطاب، حيث تابع الخطاب القرآني من خلال سورة الأعلى، مركزا على الانسجام الحجاجي فيها، و على

¹ - ينظر ، أبو بكر العزاوي، الحجاج اللغوي، مرجع سابق، ص 66، 67.

بنيتها الاستدلالية، و على برنامجها الإقناعي، و اشتغاله على الخطاب الشعري، معتبرا (أن الشعر الحجاجي هو المنذور للإقناع و التوجيه و ليس شعر البراعة و البديع.

و يظهر التوسيع في متابعته للخطاب المثلي باعتبار أن المثل مبدأ حجاجي، و بأنه حجة جاهزة و قوية¹، كما ظهر التوسيع أيضا في الاشتغال على الخطاب الإشهاري حيث ركّز على البعد الحجاجي للمكون الأيقوني، محلا العناصر الأيقونية بنفس الطريقة التي تحلل بها الوحدات الأيقونية.

آخر ما يسم هذا المشروع الحجاجي هو ربطه بالحجاج بالحياة العامة، حيث ركّز الأستاذ العزاوي على حرية التعبير، و عتبر بأن التربية على حقوق الإنسان تتمثل في التربية على الحوار والتشاور والحجاج و الجدل المحمود².

و خلاصة القول أن أبا بكر العزاوي يرى أن الحجاج يرتبط بكل أشكال التواصل اللغوي أو غير اللغوي ، و أكد على أن الحجاج يكمن في اللغة على اعتبار أن اللغة بطبيعتها تحمل وظيفة حجاجية التي صفة لكل خطاب طبيعي، مؤكدا على أن الحجاج يشمل كل أنواع الخطاب الشفوي و المكتوب، و غيره.

● عند عبد الله صولة:

تمثل دراسة الباحث عبد الله صولة نمودجا لكيفية إنتاج و اشتغال التحليل الحجاجي للخطاب وخاصة الخطاب المكتوب المتدرج ضمن مفهوم نمطي محدد هو اللسان العربي. وقد اختار لدراسته عنوان "الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية".

¹ - ينظر ، المرجع نفسه، ص 67، 68.

² - ينظر ، أبو بكر العزاوي، الحجاج اللغوي، مرجع سابق ، ص 69 ، 70.

و لعل جانب الأهمية في هذه الدراسة يرجع إلى حرص الباحث على توظيف جملة مفاهيم وتصورات حجاجية، تندرج تحت النظريات الحجاجية الحديثة مع الاستفادة المتواصلة من التراث اللغوي العربي نحا و بلاغة ومعجما و بالأخص ما يتصل بالنص الديني الإسلامي.¹

اجتهد صولة في رصد مختلف المفاهيم التي أسندت للحجاج قديما و حديثا، و كذا الحدود التي تقرّب من حقول الجدل و الخطابة، و الاستدلال و البرهان، فكانت اهم محاور البحث في هذا الشأن هي بيان الحجاج بما هو مرادف للجدل في اللغة والاصطلاح و بما هو قاسم مشترك بين الجدل والخطابة، و بما هو أيضا "حوار" و مبحث لغوي قائم بذاته لدى عدد معين من الدارسين هم: تولينو بيرلمان و تيتكاه و أنسكومبر و ديكرو و ميشال ماير.

و قد رأى الباحث للمفاهيم الأربعة للحجاج ما من شأنه أن يثير مشاكل منهجية في مجال الدراسات الحجاجية عامة، و في دراسة القرآن دراسة حجاجية خاصة، و تفسير هذا المذهب يكمن في كون تصوّر بيرلمان و تيتكاه مثلا: "يجعل أفق الدرس الحجاجي في أي نص من النصوص أو قول من الأقوال أفقا ضيقا جدا"² نظرا لاعتماد تصوورها الحجاجي أساسا على الوصل والفصل الحجاجيين ، مما يجعل الحجاج ذا نمط واحد لا يتغير في سائر النصوص و الخطابات ،وفي المقابل يبدو مفهوم ديكرو و سكمبر في شأن الحجاج مفهوما واسعا جدا، و هو الأمر الذي قاد الباحث إلى خلاصة مضمونها "لأنه ما كل حجاج بفصل أو وصل ، كما أنه ما كل قول بحجاج، وليست اللغة بكل وحدتها المعجمية ذات طاقة حجاجية في ذاته".³

و وفقا لهذه الرؤية النظرية، رأى الباحث في القرآن خطابا حجاجيا بحيث يصيب الحجاج فيه كثيرا من العناصر اللغوية مثل الكلمات والتراكيب و الصور.

¹ - زكريا السرتي، الحجاج في الخطاب السياسي المعاصر، عالم الكتب الحديثة، أربد، الأردن، 2013، ص146.

² - عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط2، 2007، ص40.

³ - زكريا السرتي، الحجاج في الخطاب السياسي المعاصر، مرجع سابق، ص: 147، 148.

أما المستويات التي وقع عليها اختيار الباحث ليدرسها فقد كانت مستويات المعجم والتركيب والصورة التي ليست "مهما كبرت، إلا عناصر لغوية صغيرة ترد دائما داخل مركبات كلامية أوسع"¹ منها جميعا، و لهذا وجب في نظره مراعاة الإطار القولي العام الذي يضمها، و هو إطار الخطاب القرآني.²

ذكر عبد الله صولة قارئه بأن منطلق الدراسة كان هو تبني مفهوم خاص للحجاج "يقع في منزلة وسطى بين الضرورة التي مجالها البرهان القائم على صرامة المسار العقلي المطبق، و بين اللامعقول الذي مجاله الخزعبلات والمناورة و التلاعب بالعقل"³. هذا المفهوم الخاص للحجاج هو ما فتح الطريق أمام الاعتراف بأن القرآن لا يمكن إلا أن يكون فضاء سماعة و مرونة، و ذلك من خلال وقوعه بين الخطبين المذكورين ، الضرورة والمناورة.

استنادا إلى هذه النتيجة و غيرها من النتائج الحافة و المؤسسة المنتزعة من تحليل مستويات المعجم و التركيب و الصورة، أعلن الباحث أن حجاجية القرآن ترجع إلى كونه "لم يلحّ على وصف كلامه بحسن الفظة أو عجيب النظمة، و إنما ألحّ إلحاحا شديدا بيّنا على صفات ثلاثة له هنّ على صلة متينة بالحجاج"⁴، فالصفة الأولى هي كونه قرآنا عربيا مع ارتباط هذه الصفة بغاية الإقناع، و الصفة الثانية الدالة على حجاجيته هي صفة التغيير لإخراج الناس من الظلمات إلى النور و من التنطع إلى التعقل و من الغواية إلى التقوى ، أما الصفة الثالثة ذكر القرآن في مواضع كثيرة لم ينشأ عن قوله من تأثير في نفوس سامعيه عاطفيا و وجدانيا مما يمهد السبيل للإقناع الذي هو ذو طابع عقلي .

عموما ما يمكننا استنتاجه من هذا العرض أن عبد الله صولة انطلق في دراسته للحجاج من النظريات الحديثة و اتخذها خلفية له، نظر من خلالها إلى مبحث الحجاج من القرآن الكريم

¹ - عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، مرجع سابق، ص ، ص51.

² - زكريا السرتي، الحجاج في الخطاب السياسي المعاصر، المرجع السابق، ص148.

³ - عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، مرجع سابق، ص: 609 ، 610.

⁴ - عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، مرجع سابق ، ص 614.

واعتبر الحجاج قاسماً مشتركاً بين الجدل والخطابة كون القرآن خطاب حجاجي يضم خصائص أسلوبية في كل مستويات المعجم و التركيب و الصورة، و بالتالي فهو يحقق الإقناع و التأثير من خلال هذه الخصائص الأسلوبية .

● عند حمادي صمود:

يعدّ حمادي صمود من الباحثين العرب المعاصرين القلائل الذين تبنا البلاغة بمفهومها الواسع خياراً بحثياً منذ فترة السبعينيات، و على وجه التحديد منذ ظهور أطروحته (التفكير البلاغي عند العرب أسسه و تطوره إلى القرن السادس)، و يقسم المراحل النقدية لحمادي صمود إلى مرحلتين أساسيتين: مرحلة القراءة النقدية و مرحلة الاهتمام بالاحتجاج.

– مرحلة القراءة النقدية:

و قد بدأها بأطروحته التي حاول فيها قراءة المدونة البلاغية العربية حتى القرن السادس الهجري، مركزاً في هذه القراءة على ما يسميه " الحدث الجاحظي " الذي يرى أنه كان وراء إرساء بلاغة للبيان تعتمد الحجاج و الجدل المنطقي بدلاً من القتل و العراك، و تعطي لأول مرة في تاريخ النقد العربي مكانة للحدث الكلامي من جهة، وللمتكلم من جهة ثانية بوصفه المبدع للخطاب، على اعتبار أن عملية الإبداع و التأليف ليست سهلة؛ بل تتضمن إلى جانب المعايير المعرفية عوامل أخرى نفسية واجتماعية و مقامية متعددة.¹

و يمكن اعتبار المرحلة الأولى بحوث و دراسات تدور في معظمها حول قضايا أدبية و لسانية و نقدية و تراثية. و مع منتصف التسعينيات ظهرت مرحلة جديدة في توجهات صمود و أفكاره، وهي:

– مرحلة الاهتمام بالحجاج:

¹ – ينظر، محمد سالم الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، مرجع سابق، ص 272.

ينطلق حمادي صمود في هذه المرحلة من اعتبار بلاغة الحجاج "أدق مواضيع الدرس البلاغي اليوم و أكثرها أهمية بالنسبة إلينا"، إذ أن بلاغة الحجاج تقوم على استغلال جميع العناصر المجاورة المساعدة في فهم الخطاب وتوصيله.¹

فالحجاج "علاقة بين طرفين (أو عدة أطراف) تتأسس على اللغة و الخطاب، يحاول أحد الطرفين فيها أن يؤثر في الطرف المقابل جنسا من التأثير يوجّه به فعله، أو يثبت لديه اعتقاد أو يميله عنه أو يصنعه له صنعا" و الوسائل التي تساعد على تحقيق هذه الأهداف متعددة منها ما هو متعلق بالمتكلم ومنها المتعلق بالمخاطب و منها الخاص بالمقام " و "منها و هو الأغلب الأعم ما يأتي من اللغة ذاتها" و من هنا كانت أقسام الخطابة الأساسية المتعلقة بالخطاب ثلاثة هي² البصر بالحجة تركيب الأقسام ، العبارة.

✓ البصر بالحجة: و تعني حسن الاختيار و التقاط المناسبة بين الحجة و سياق الاحتجاج حتى يسدّ المتكلم السبيل عن السامع فلا يجد منفذا إلى استضعاف الحجة أو الخروج عن فعلها.

✓ تركيب الأقسام: أي ترتيب الحجج التي اختارها المتكلم بحيث يضع كل حجة في مكانها المناسب الذي يمنحها الفاعلية.

✓ العبارة: حيث يعقب اختيار الحجج و ترتيبها البحث عن الأسلوب الأمثل القادر على حمل تلك المضامين و توصيلها على أكمل وجه.³

و بالتالي يمكن القول أن الحجاج خاصة والبلاغة المعاصرة بصفة عامة لا تقف في نظر صمود على دراسة آليات التأثير و التأثير، بل تتجاوز ذلك لدراسة التغيرات التي جدّت و التي

¹ - ينظر، المرجع نفسه، ص ص: 275، 276.

² - عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، مرجع سابق، ص 277، 276.

³ - ينظر، محمد سالم الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، مرجع سابق، ص ص: 276، 277.

يمكن أن تجد على ثنائية النص و الخطاب في علاقتهما بالواقع و بالمخاطبين من جهة، وعلاقتهما بالثورة التقنية التواصلية السريعة الخطى من جهة ثانية.¹

و خلاصة القول أن صمود يرى أن الحجاج يقوم على علاقة تخاطبية بين متكلم ومستمع أساسها اللغة والخطاب.

خلاصة الفصل:

و ما نستخلصه من دراستنا أن الحجاج في الفكر العربي القديم أنه انحصر في لونين خطابيين هما خطابة الجدل و المناظرة فيما بين زعماء الملل و النحل، و فيما بين النحاة و المناطق، و فيما بين الفلاسفة و المتكلمين. والخطابة التعليمية متمثلة في الدروس التي كان يلقيها العلماء في مختلف العلوم آنذاك²، وتجسدت فعاليتها في التأثير و الإقناع، و على النصين ، الخطبة والقصيدة ، كما لم تتخطّ النص الثالث: القرآن الكريم الذي استقطب اهتمام البلاغيين العرب باعتباره "كان في كثير من آياتها طبيعة خطابية، و خطابية جدلية على نحو خاص ، فما أكثر الوقائع الجدلية الواردة في اقرآن الكريم ، و ما أكثر الحجج المنطقية أو المعقولة التي تقيمها لنفي ما تنفيه أو إثبات ما تثبته".³

أما في الفكر العربي الحديث، فنجد أن الباحثين العرب المعاصرين قد انفتحوا على المشاريع والنظريات و المناهج الغربية إلى إغناء الدرس البلاغي العربي، حيث أعادوا الاعتبار لخصوصيات التراث البلاغي و ما فيه من جماليات شكلية و مضمونية ، بعد أن ظل البحث فيه أسير المقاربات الشكلية التي اعتمدت غالبا مقولات تجزيئية معيارية على الرغم من ثراء مباحثه

¹ - ينظر ، محمد سالم الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، مرجع سابق، ص 284، 285.

² - جميل عبد المجيد ، البلاغة و الاتصال، مرجع سابق، ص 126.

³ - جميل عبد المجيد ، البلاغة و الاتصال، مرجع سابق، ص 127 ، 128.

الاصطلاحية والمفاهيمية. و ذلك من خلال اهتمامهم بمظاهر الإقناع في الخطابة العربية القديمة و بإعادة البلاغة إلى وضعها الطبيعي كنظرية في الكتابة وسلطة إبداعية و حجاجية.¹

¹ - ابتسام بن خراف، تلقي النص البلاغي عند الدكتور محمد العمري مقارنة وصفية تحليلية ، مجلة قراءات، مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة و مناهجها، جامعة بسكرة، العدد الخامس ، 2013، ص47

الفصل الثاني:

دراسة مقارنة للحجاج عند

ابن وهب و طه عبد الرحمان

- توطئة

- 1- الحجاج عند ابن وهب
- 2- الحجاج عند طه عبد الرحمان
- 3- أوجه الاتفاق و الاختلاف بين مشروع ابن وهب و مشروع طه عبد

الرحمان:

- أ- أوجه الاتفاق بين مشروع ابن وهب و طه عبد الرحمان
- ب- أوجه الاختلاف بين مشروع ابن وهب و طه عبد الرحمان

- خلاصة الفصل

الجمع بين رمزين من رموز الفكر العربي، والمقارنة بين عقلانيتها الإبداعية، لا شك يشري الحياة الثقافية و العلمية لدينا، وليس الفكر سواء كان قديما أو حديثا مشرقيا أو مغربيا، إلا دليلا قائما على مدى اتساع هذا العقل العربي المبدع ونبضه بالحياة، و التلاقح الفكري ما بين القديم و الحديث و المشرق و المغرب ليس إلا دليلا على مدى التأثير والتأثر بين مفكرينا منذ القدم وحتى لحظتنا الراهنة. فحاولنا من خلال هذه المقارنة إيجاد تقارب في فكر ابن وهب المنطقي الحجاجي مع فكر طه عبد الرحمن الذي جاء بفلسفة تداولية جديدة يلتزم بريقها في الأفق الذي آثار جدلية الإبداع والتجديد من بعد الجمود والتقليد ليؤسس لحداثة إسلامية مؤيدة، ويعيد تجديد النظر مرة أخرى إلى تراثنا العربي .

والملاحظ ما بين الشخصيتين، أن الاثنين سطعا نجمهما في سماء المنطق و الفلسفة العربية الإسلامية، ولا زالت عملية البحث تنهل من إبداعهما .

وقد حاولنا جهد الإمكان، التقريب بين فكر الرجلين بقراءتهما في سياق النسق الحجاجي .

1- الحجاج عند ابن وهب:

يتجلى البيان عند ابن وهب في كتابه البرهان في وجوه البيان في أربعة أوجه: باب الاعتبار، باب الاعتقاد، باب العبارة، باب الكتاب. إذ يقول: "البيان على أربعة أوجه فمنه بيان الأشياء بذواتها و إن لم تبين بلغاتها؛ ومنه البيان الذي يجعل في القلب عند إعمال الفكر والقلب و اللب، و منه البيان باللسان، و منه البيان بالكتاب الذي يبلغ من بعد و غاب".¹

و نذكر هنا البيان باللسان هذا ما يخص طريقة أهل الكلام و المناطق و يتعلق بالخطاب الشفاهي و أن المخاطب حاضر و هذا يتجلى أكثر في المناظرة و الجدل و الحوار و مراعاة السامع حضوره لدى المتكلم أو غيابه ميزة حجاجية مبثوثة في مباحث كلامية.

و قد اعتمد ابن وهب الترتيب المنطقي في صوغ أقسام البيان²، فسمى الأول "بيان الاعتبار" أي استنباط المعرفة، وسمى الثاني "بيان الاعتقاد" أي معالجتها، و سمي الثالث والرابع "بيان العبارة و بيان الكتاب" أي تداولها.³

و قد ارتبطت البلاغة عند ابن وهب، بالاتجاه الخطابي و استند بيانه على الاستدلال والإقناع من خلال دفاعه عن البيان المعرفي، و من خلال إشادته بالعقل، حيث خصص جوهر مقدمة كتابه للحديث عن العقل و التنويه به، ليربطه بعد ذلك بالبيان، " فالبيان ناجم عن إعمال الإنسان النظر العقلي في الأشياء، و الأشياء دليل العقل"، فيصبح عمل ابن وهب هذا المنظور أقرب إلى نظرية معرفية "، فالبيان ينتج بالاستنباط المعرفي عن طريق الاعتبار والاعتقاد، ويتداول بالعبارة والكتاب".⁴

* هو أبو الحسن إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب ، و قد عاش معظم حياته في القرن الرابع ، كما رجح أن البيئة التي عاش فيها هي بغداد ، و قد أغفل التاريخ كثيرا من جوانب حياته و تاريخ ميلاده و تاريخ وفاته.

¹ - إسحاق ابن وهب ، البرهان في وجوه البيان، تح: حنفي محمد شرف، (د.ط)، (د.ت)، ص56.

² - عبد العالي قادا ، بلاغة الإقناع ، مرجع سابق، ص ص: 125 ، 126.

³ - محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، مرجع سابق، ص15.

⁴ - ينظر، عبد العالي قادا ، بلاغة الإقناع ، مرجع سابق، ص ص: 126 ، 127.

أما إذا اصطالحنا على أن البيان هو الحجاج فالأوجه الأربعة أوجه حجاجية بامتياز، وينقسم البيان إلى ظاهر و باطن.¹

أما الظاهر من ذلك ما أدرك بالحس كتيبنا حرارة النار و برودة الثلج على الملاقاة لهما، أو ما أدرك بنظرة العقل التي تتساوى العقول فيها مثل تبييننا أن الزوج خلاف الفرد، و أن الكل أكثر من الجزء.²

أما الباطن هو ما غاب عن الحس و اختلفت العقول في إثباته، و الظاهر على حد قول ابن وهب لا يحتاج إلى تفسير و توضيح، و هذا حين توضع الألفاظ في معانيها الحقيقية، و هذا يتطابق مع ما ورد في البلاغة العربية مطابقة مقتضى الكلام، و يقبله في البحث الحجاجي الاستدلال المنطقي الحقيقي.

و الباطن هو المحتاج إلى تفسير، لأن اللفظ يخرج عما وضع له من معناه الحقيقي إلى معناه المجازي، و هذا ما يعزّز حجاجية الاستعارة³، و التشبيه و ألوان المجاز في البيان لدى البلاغيين العرب، و يقبل هذا في الحجاج الاستدلالي التخيلي القائم على حجج غير يقينية، إذن فالبيان هو إقامة الحجة على صحة الخطاب و هذا ما يؤكد شرعية وصف الخطاب بالحجاجي.⁴

كما يعرف ابن وهب القياس بقوله "القياس في اللغة التمثيل و التشبيه، و هما يقعان بين الأشياء في بعض معانيها لا في سائرهما لأنه لا يجوز أن يشبه شيء شيئا في جميع صفاته فيكون غيرهن و التشبيه في الأشياء لا يخلو من أن يكون تشبيها في حد، أو وصفه أو اسم.⁵

¹ - عباس حشاني، خطاب الحجاج و التداولية، مرجع سابق، ص 51، 52.

² - إسحاق ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، مرجع سابق، ص 65.

³ - عباس حشاني، خطاب الحجاج و التداولية، مرجع سابق، ص 52.

⁴ - المرجع نفسه، 52.

⁵ - إسحاق ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، مرجع سابق، ص 67.

و يؤكد ابن وهب على نجاعة القياس في البيان الباطن بقوله "هو الذي يتوصل إليه بالقياس والنظر والاستدلال و الخبر" هو ذلك الممكن أو المحتمل المختلف عليه الذي عدّه بيرلمان المجال الحقيقي للحجاج.¹

و وعيا من ابن وهب بالبعد الحجاجي للقياس أولاه أهمية كبيرة في مشروعه فعرّفه بقوله "وليس يجب القياس إلا عن قول يتقدم فيكون القياس نتيجه كقولنا²: إذا كان الحي حساسا متحركا بالإنسان حي و ربما كان ذلك في اللسان العربي مقدمة أو مقدمتين، أو أكثر على قدر ما يتجه من إفهام المخاطب. فأما أصحاب المنطق فيقولون: إنه لا يجب قياس إلا عن مقدمتين لإحدهما بالأخرى تعلق، و إنما نكتفي في لسان العرب بمقدمة واحدة على التوسع و علم المخاطب.³

يقف ابن وهب من خلال هذا النص على الانتقال من المقدمات إلى النتائج، فبهذا الانتقال و بهذه الحركة الحجاجية يكون الإقناع، و يجعل ابن وهب النتائج ثلاث: إحداها ما صدر عن قول مسلم في العقل لا خلاف فيه، فتكون النتيجة عنه برهانا... و الأخرى ما صدر عن قول مشهور إلا أنه مختلف فيه، فتكون النتيجة عنه إقناعا. و الثالثة ما صدر عن قول كاذب وضع المغالطة.⁴

و هو بذلك يميّز كما فعل أرسطو بين البرهان التي تكون مقدماته ضرورية و ميدانه المنطق الصوري، والحجاج و تكون مقدماته مشهورة و ميدانه الجدل و الخطابة، و المغالطة التي تكون مقدماتها كاذبة وميدانها السفسطة⁵ كما ركّز ابن وهب على الأجناس الخطائية ذات ذات الوظيفة الإقناعية، فاهتم بالجدل وجعله مجادلة، لأن قصد المجادل إلزام خصمه خلاف

¹ - جميل عبد الحميد ، البلاغة و الاتصال، المرجع السابق، ص154.

² - عبد العالي قادا، بلاغة الاقتناع، مرجع سابق، ص ص 126 ، 127

³ - ينظر : إسحاق ابن وهب ، البرهان في وجوه البيان ، ص68

⁴ - ينظر : المرجع نفسه، ص68، 69.

⁵ - عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع ، مرجع سابق، ص ص: 127، 128.

الباحث الذي¹ "يبيّن مقدماته بما هو أظهر الأشياء في نفسه و أثبتها لعقله لأنه يطلب البرهان".²

و لما كان الجدل يقع في علة أو في علل الادعاء، فقد جعل ابن وهب العلة نوعين: "قريبة وبعيدة؛ فالقريبة: ما كان المعلول تاليها و البعيدة ما كان بينه وبين غيره"³.

و حرص ابن وهب على ضرورة مراعاة المقام إذ على الخطيب أو المترسل "أن يكون عارفا بمواقع القول وأوقاته و احتمال مخاطبين له"⁴.

و يتعلق البيان عند ابن وهب بما يدخل في باب الظن و الاحتمال و الاستناد على الرأي والاختلاف، وهو بذلك ينسجم مع التصور الذي غلب على بلاغة الإقناع منذ أرسطو و حتى اليوم، و هو وإن اعتبر الظن سبيلا خطايا معرفيا، لا يغالي في هذا الاعتبار إلى درجة الوقوع في مغالطة السوفسطائيين بل يحرص على كشف المغالطات بتمحيص المقدمات و تصحيحها⁵ كما يجعل ابن وهب النثر صنفا من أصناف الاحتجاج حيث يقول: "فأما المنشور فليس يخلو من أن يكون خطابة، أو ترسلا، أو احتجاجا، أو حديثا، و لكل واحد من هذه الوجوه موضع يستعمل فيه".⁶

و أما الأمثال ، فإن الحكماء و العلماء و الأدباء لم يزالوا يضربون الأمثال، و يبينون للناس تصرف الأحوال بالنظائر والأشكال ، و يرون هذا النوع من القول أنجع مطلب، و أقرب مذهبا، و لذلك قال الله عزّ و جلّ: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ

¹ - ينظر، عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع ، مرجع سابق ، ص128.

² - إسحاق ابن وهب ، البرهان وجوه البيان، مرجع سابق، ص179.

³ - المرجع نفسه، ص181.

⁴ - المرجع نفسه، ص153.

⁵ - عبد العالي قادا ، بلاغة الإقناع ، مرجع سابق، ص129

⁶ - إسحاق ابن وهب ، البرهان في وجوه البيان، مرجع سابق، ص150.

لَعَلَّهُمْ يَنْذَكَّرُونَ¹، و إنما فعل العلماء ذلك لأن الخبر في نفسه إذا كان ممكناً، فهو محتاج إلى ما يدل على صحته، و المثل مقرون بالحجة².

و يظهر الاحتجاج عنده بقوله "الاحتجاج على من زاغ من أهل الأطواف و ذكر الفتوح، وفي الاعتذارات والمعاتبات و غير ذلك مما يجري في الرسائل و المكاتبات"³.

كما أورد الاحتجاج باسم الجدل، و ذلك من خلال ما عرض له في كتابه البرهان في وجوه البيان يقوله "وأما الجدل والمجادلة، فهما قول يقصد بهما إقامة الحجة فيما اختلف فيه اعتقاد المتجادلين، و يستعمل في المذاهب و الديانات و في الحقوق و الخصومات، و في السؤال والاعتذارات. و يدخل في الشعر و في النثر" و قد قسمه إلى قسمين أحدهما محمود و آخر مذموم⁴.

يمكن تصنيف خلاصة فكر ابن وهب في الجدل والمجادلة في النقاط الرئيسية التالية:

- قدم ابن وهب تعريفا للجدل و المجادلة وضع فيه يده على مقصد الجدل و وقوعه في مسائل خلافية و أما الجدل و المجادلة فهما قول بقصد به إقامة الحجة فيما اختلف فيه اعتقاد المتجادلين و يستعمل في المذاهب و الديانات و في الحقوق و الخصومات و في الاعتذارات.

- الجدل فيما يفهم من كلام ابن وهب، خطاب تعليل إقناعي. فالجدل إنما يقع في الصلة بين سائر الأشياء المسؤول عنها، و ينبغي للمجيب إن سئل يقنع، و ان يكون إقناعه الإقناع الذي يوجب على السائل القبول، و إذا كان في الجدل إظهار الحجة التي تقنع ، فالغالب هو الذي يظهر ذلك.

¹ - سورة الزمر، الآية 27.

² - إسحاق ابن وهب ، البرهان في وجوه البيان، مرجع سابق، ص: 117، 118.

³ - المرجع نفسه، ص 150.

⁴ - المرجع نفسه، ص: 176، 177.

- إذا كانت مقامات الجدل مقامات اختلافات و خصومات و نحوها، فإن الاعتبار الأخلاقي من أوجب ما توجب تلك المقامات بل هو أوجبها، و ليس التمييز بينها جدل محمود و جدل مذموم فيما نفهم من كلام ابن وهب، إلا تمييزا فيه إلى حضور هذا الاعتبار أو غيابه. الجدل المحمود ما قصده به الحق و استعمل فيه الصدق، و الجدل المذموم ما أريد به المساواة والغلبة، وطلب به الرياء و السمعة، إذا كان القصد هو الحق والصواب و جب على المجادل ألا تحمله قوة إن وجدها في نفسه، و صحة في تمييزه، و جودة خاطره، و حسن بديهته و بيان عارضته، وإثبات حجته، على أن يشرع في إثبات الشيء و نقضه، و يشرع في الاحتجاج له ولضده، فإن ذلك مما يذهب ببهاء عمله و يطفئ نور بهجته، و ينسبه به أهل الدين و الورع إلى الالتجاء وقلة الأمانة".¹ و الحق أن كثيرا مما اشترطه ابن وهب في "أدب الجدل" ينبغي له أن يعزى إلى ذلك الاعتبار الأخلاقي.

و من أهم ما اشترطه:

- أن يحلم المجادل عما يسمع من الأذى و النبز
 - ألا يعجب برأيه و ما تسوله له نفسه حتى يفضي بذلك إلى نصائحه.
 - أن يكون منصفاً غير مكابر؛ لأنه إنما يطلب الإنصاف من خصمه و يقصده بقوله وحجته.
 - ألا يستصغر خصمه و لا يتهاون به، و إن كان الخصم صغير المحل في الجدل.
- مما ذكره ابن وهب في مبحثه الجدل و المجادلة "و أدب الجدل" ما يمكن أن ينظر إليه الآن من منظور الاستراتيجيات الاتصالية الحجاجية، و من أهم ذلك:
- أن يبني المجادل مقدماته مما يوافق الخصم عليه

¹ - محمد العيد، النص و الخطاب و الاتصال، أكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، (دط)، 2014، ص 151.

- أن يصرف همته إلى حفظ النكت التي تمرّ في كلام خصمه مما يبيّن منها مقدماته، و ينتج منها نتائجها، ويصحح ذلك في نفسه، و لا يشغل قلبه بتحفظ جميع كلام خصمه، فإنه متى اشتغل بذلك أضاع ما هو أحوج إليه منه.
- ألا يقبل قولاً إلا بحجة و لا يرده إلا لعلّة .
- ألا يجيب قبل فراغ السائل من سؤاله، و لا يبادر بالجواب قبل تدبره، استعمال الروية فيه.
- ألا يشاغب إذا شاغبه خصمه، و لا يردّ عيه إذا أربى في كلامه بل يستعمل الهدوء والوقار، ويقصد مع لوضع الحجة في موضعها فإن ذلك أغلط على خصمه من السب.
- أن يخاطب الناس بما يعهدون و يفهمون، فلا يخرج في خطابهم عما توجبه أوضاع الكلام.

قول ابن وهب "إن الجدل إنما يقع في العلة ط مطابق لما تقول به النظرية الحجاجية المعاصرة.¹

يعتبر كتاب البرهان في وجوه البيان لإسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب محاولة لإسهام المعايير اليونانية في وضع قواعد البلاغة العربية ، فقد نظم المساهمات البيانية التي سبقته في ترتيب منطقي دقيق.²

كما أن الطابع الإقناعي لا يكاد يفارق مشروع ابن وهب على امتداد كتابه البرهان. فالحجة هي الوسيلة المطمئنة لتحقيق المعرفة، فلا غرو أن يكون لفظ الحجة و مشتقاته الأكثر تواتراً في الجهاز المفاهيمي الذي ترسله مما يصح معه أن يسمى بيانه بيان الحجة.³

بعد دراستنا للحجاج عند ابن وهب نرى أنه قدّم تعريفاً دقيقاً للجدل و المجادلة، و ميّز بين أنواع الجدل وقسمه إلى محمود و مذموم ، كما تطرق إلى أدب الجدل، و ذكر الشروط

¹ - محمد العيد ، النص و الخطاب و الاتصال، مرجع سابق ، ص 151 ، 152.

² عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع ، مرجع سابق، ص 125

³ - المرجع السابق ، ص 129.

الواجب توفرها في الحجاج. فابن وهب ربط الجدل بالحجاج، بل جعل الحجاج آلية من آليات الحال، أي أنه جزء من الجدل.

2- الحجاج عند طه عبد الرحمان¹ :

يعتبر طه عبد الرحمان من الدارسين العرب الذين عالجوا مسألة الحجاج بوصفه أبرز آلية لغوية يستخدمها المرسل للإقناع.

يورد طه عبد الرحمان تعاريف مختلفة للحجاج؛ فتارة يتحدث عنه باعتباره الآلية الأبرز للإقناع، و تارة بوصفه فعالية، تداولية جدلية، و تارة أخرى على أنه فعالية استدلالية خطابية ولعل من أهم التعاريف التي ساقها:²

- الحجاج هو "كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها"

¹ - ولد طه عبد الرحمان عام 1944م في الجديدة بالغرب و تلقى تعليمه الابتدائي بمدينة " الجديدة" ثم تابع دراسته الإعدادية بمدينة الدار البيضاء ، ثم بجامعة محمد الخامس بمدينة الرباط، حيث نال إجازة في الفلسفة و استكما دراسته بجامعة سيربون، حيث حل منها على إجازة ثانية ، في الفلسفة و الدكتوراة السلك الثالث علم 1972م، برسالة في موضوع "اللغة 1985م عن أطروحته " رسالة في الاستدلال الحجاجي و الطبيعي و نماذجه ثم درّس "المنطق و فلسفة اللغة" في جامعة محمد الخامس بالرباط 1970م ، إلى حين تقاعده 2005م، و هو عضو في " الجمعية العالمية للدراسات الحجاجية" و مثلها في المغرب ، و عضو في "المركز الأوروبي للحجاج"، و هو رئيس منتدى الحكمة للمفكرين والباحثين بالمغرب. قراءة تحضيرية جزئية لفكر الفيلسوف المغرب طه عبد الرحمان، معتز حسن محمد أبو القاسم، ص129.

² - محمد حمودي، الحجاج واستراتيجيات الإقناع عند طه عبد الرحمان مقارنة استمولوجية(مقال)، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، الجزائر، عدد12، 2012، ص128.

و هكذا يتضح أن الذي يحدد ماهية الخطاب إنما هو العلاقة الاستدلالية، و ليس العلاقة التخاطبية وحدها، فلا خطاب بغير حجاج، و لا مخاطب من غير أن تكون به وظيفة "المدعي" و لا مخاطب من غير أن تكون له وظيفة "المعتز".

و إذا ثبت أن الحجاج هو الأصل في الخطاب، ثبت أيضا أن العلاقة الاستدلالية هي علاقة أصلية¹، فالحجاج يأخذ عند طه عبد الرحمان نفس الأبعاد الدلالية للاستدلال²، و الشاهد على ذلك ما يختص به اللسان العربي من استعمال لفظ واحد للدلالة على معنى "القصد" ومعنى "الاستدلال" معا و هو بالذات الفعل "حجّ" الذي يفيد قصده في قولنا: "حج البيت الحرام"، كما يفيد غلبة الحجة في قولنا "حاجّه فحجّه"³.

و في اللسان أصل الحج القصد للزيارة، و الحجة: الدلالة المبينة للمحجة، أي المقصد المستقيم الذي يقتضي صحة أحد النقيضين. قال تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾⁴، و قال: ﴿لَئِنْ لَا يَكُونَنَّ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاحْشَوْنِي وَلَئِنَّمْ نَعَمَّيْ عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾⁵، فجعل ما يحتج بها الذين ظلموا مستثنى من الحجة و إن لم يكن حجة⁶.

يرى طه عبد الرحمان أن "الكلام" و "الخطاب" و "الحجاج" أسماء مختلفة لمسمى واحد وهو "الحقيقة النطقية الإنسانية" التي غرضها التأثير في المرسل إليه بقصد من المرسل إليه بقصد من المرسل و يلزمه لذلك خطاب، و يراعي السياق و المقام و الحجج المناسبة⁷، إلا أن كل

¹ - ينظر، طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، مرجع سابق، ص226.

² - محمد حمودي، الحجاج واستراتيجيات الإقناع، مرجع سابق، ص129.

³ - طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، مرجع سابق، ص226

⁴ - سورة الأنعام، الآية 149

⁵ - سورة البقرة، الآية 150.

⁶ - محمد حمودي، الحجاج واستراتيجيات الإقناع، مرجع سابق، ص129.

⁷ - عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية في إنتاج ابن باديس، مرجع سابق، ص133.

واحد من هذه المفاهيم اختص بالدلالة على إحدى العلاقات و هي العلاقة التخاطبية، و العلاقة الاستدلالية، و العلاقة المجازية، فدلّ الكلام على الأولى و الخطاب على الثانية و الحجاج على الثالثة معتمدا على قول الجوني في كتابه الكافية في الجدل "فالكلام والخطاب و التكلم والتخاطب و النطق واحد في حقيقة اللغة و هو ما به يصير الحي متكلماً"¹.

و تبين طه عبد الرحمان أن حقيقة الحجاج ليست هي مجرد الدخول في علاقة استدلالية، أي أن الذي يحدد ماهية الحجاج إنما هو العلاقة المجازية و ليست العلاقة الاستدلالية وحدها، فلا حجاج بغير مجاز، إذ حدّ المجاز أنه كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها بحسب القيمة التي تحملها.²

و من هذا يتضح أن العلاقة المجازية هي الأصل في الحجاج و ليس المجاز هنا بمفهوم الانزياح اللغوي فقط بل بمفهومه التناسبي. فالعلاقة التي يقيمها المرسل بين الحجة والدعوى أو النتيجة ليست أصلية أو حقيقية، بل هي علاقة يقيمها المرسل في خطابه على النحو الذي يراه الأنسب أو الأنجع لتحقيق مراده.

كما يتضح أيضا أن العلاقة المجازية أيضا هي الفيصل في ضعف الحجج أو في منحها القوة التي تدعم موقف المرسل لتحقيق الإقناع.³

و يؤكد طه عبد الرحمان على أن نموذج العلاقة المجازية يبنى في حدّ ذاته على علاقيتين، هما:

❖ العلاقة الاستعارية

❖ قياس التمثيل

¹ - طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، مرجع سابق، ص235.

² - طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، مرجع سابق، ص: 231، 232.

³ - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مرجع سابق، ص: 460، 461..

غير أن العلاقة الاستعارية هي أدلّ ضروب المجاز على ماهية الحجاج¹، كما ينظر للحجاج على "أنه فعالية تداولية جدلية فهو تداولي لأن طابعه الفكري مقامي اجتماعي و هو أيضا جدلي لأن هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية"².

و يرى طه عبد الرحمان أن حقيقة الخطاب تكمن أيضا في قصدتين معرفيتين هما قصد "الادعاء" وقصد "الاعتراض"³.

غير أن هذين القصدتين قد يجيئا على مقتضى التجريد أو التفريق أو الجمع، مما يجعل العلاقة الاستدلالية على أصناف ثلاثة، و هي: الحجاج التجريدي، و الحجاج التوجيهي و الحجاج التقويمي، كما سننبه فيما يلي:

✓ **الحجاج التجريدي:** و المقصود بالحجاج التجريدي و هو الإتيان على الدعوة على طريقة أهل البرهان علما بأن البرهان هو الاستدلال الذي يعنى بترتيب صور العبارات بعضها على بعض بصرف النظر عن مضامينها و استعمالها... فيتبين أن الحجة المبنية على التجريد ليست إلا مظهرًا فقيرًا من مظاهر الاستدلال في الخطاب الطبيعي و تبني أصلا على اعتبار الصورة وإلغاء المضمون والمقام.

يتضح من خلال هذا التعريف أن الحجاج التجريدي لا يهتم بمستعمليه و إنما يهتم بشكل الخطاب بغض النظر عن مضمونه.

✓ **الحجاج التوجيهي:** هو إقامة الدليل على الدعوى بالبناء على فعل التوجيه الذي يختص به المستدل علما بأن التوجيه هو هنا فعل إيصال المستدل لحجته إلى غيره، فقد ينشغل المستدل بأقواله من حيث إلقاؤه لها و لا ينشغل بنفس المقدار بتلقي المخاطب لها، و ردّ فعله عليها، فنجدّه يولي أقصى عنايته إلى قصوده و أفعاله المصاحبة لأقواله الخاصة، غير أن قصر

¹ - محمد حمودي، الحجاج واستراتيجيات الإقناع، مرجع سابق، ص 130.

² - طه عبد الرحمن، أصول الحوار و تحديد علم الكلام، مرجع سابق، ص 65، 66.

³ - طه عبد الرحمان، اللسان والميزان، مرجع سابق، ص 225.

اهتمامه على هذه القصود و الأفعال الذاتية بفضي به إلى تناسي الجانب العلاقي من الاستدلال هذا الجانب الذي يصله بالمخاطب و يجعل هذا الأخير متمتعاً بحق الاعتراض.¹

- فيتضح أن الحجة المبنية على التوجيه تبنى أصلاً على اعتبار فعل المخاطب و إلغاء ردّ فعل المخاطب.

- يمثل هذا النوع من الحجاج بالأفعال اللغوية التي تفي فقط بالجزء الذي يخص المرسل من الاستدلال لأنه لم يفترض حجج المرسل إليه إلى هذه اللحظة، فتصوره عنه ما زال ناقصاً.²

- من هنا نستنتج أن الرسل في النوع من الحجاج يسعى إلى بناء خطابه و ترتيب حججه و كيفية إيصالها دون الاهتمام بالمخاطب و ردة فعله أو اعتراضه.

- أما النوع الثالث من الحجاج فهو الحجاج التقويمي الذي يناقض الحجاج التوجيهي من خلال عنايته بالمخاطب و اهتمامه بردود أفعاله و يتضح هذا من خلال التعريف.

✓ **الحجاج التقويمي:** و المقصود به هو إثبات الدعوى بالاستناد إلى قدرة المستدل على أن يجرّد من نفسه ذاتاً ثانية يترها منزلة المعارض على دعواه؛ فهذا هنا لا يكتفي المستدل بالنظر في فعل إلقاء الحجة إلى المخاطب، واقفاً عند حدود ما يوجب عليه من ضوابط و ما يقتضيه من شرائط، بل يتعدى ذلك إلى النظر في فعل التلقي باعتباره هو نفسه أول متلق لما يلقي، فيبيّن أدلته أيضاً على مقتضى ما يتعين على المستدل له أن يقوم به، مستبقاً استفساراته واعتراضاته ومستحضراً مختلف الأجوبة عليها و مستكشفاً إمكانات تقيله و اقتناع المخاطب بها.

فيتبين أن الحجة المبنية على التقويم تبنى أصلاً على اعتبار فعل الإلقاء و فعل التلقي معا على سبيل الجمع بينهما فحسب، بل على سبيل استلزام أحدهما الآخر.³

¹ - ينظر، طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، مرجع سابق، ص: 226 ، 227.

² - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مرجع سابق، ص470.

³ - طه عبد الرحمان، اللسان و الميزان، مرجع سابق، ص228.

كما يوضح هذا النوع من الحجاج ظافر الشهري قي كتابه استراتيجيات الخطاب أن المرسل يراعي في خطابه الحجاجي أمرين هما: الهدف الذي يريد تحقيقه، و هو الإقناع، و الحجج التي يمكن أن يعارضه بها المرسل إليه.¹

لكن ما ينبغي الوقوف عنده هو أن أنواع الحجاج و مراتبها لا تقتصر على هذا القدر بل تجاوزه إلى تضمن النوع الواحد رتبا فرعية مختلفة، فيمكن إجمالها في مراتب حجاجية ثلاث كبرى، وهي "الحجة المساوي" و "الحجة العليا" و "الحجة الدنيا".²

يقول طه عبد الرحمان: لقد استعمل لفظ "الحجة" كمرادف "للدليل" عند البعض، و لكن غلب على بعض الآخر استعماله بمعنى أخص و يورد وجهين تختص بهما الحجة من دون الدليل.

– إفادة الرجوع أو القصد

– إفادة الغلبة

فالحجة بهذا المعنى هي الدليل الذي يجب الرجوع إليه للعمل به، و لتحصيل الغلبة على الخصم، مع نصرة الحق أو نصرة الشبهة، و بهذا يكون "الدليل" أعم من "الحجة"، فلا يقصد للعمل به فحسب بل قد يوضع لمجرد النظر فيه كما لا يؤتى به في موطن الردّ على الخصم.³

و ثمة حجج ثلاث يوردها طه عبد الرحمان ناتجة عن أصناف الحجاج، و هي:

✓ **الحجة المجردة:** أو الحجة التجريدية و هي بناء استدلالي مستقل بنفسه، و ليست إلا مظهرا فقيرا من مظاهر الاستدلال في الخطاب الطبيعي أو رتبة دنيا من مراتب هذا الاستدلال، على أن الاستناد عليها لا يقع إلا عند تقليد الأمر الصناعي، و تبني أصلا على اعتبار الصورة و إلغاء المضمون و المقام.

¹ – عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب، مرجع سابق، ص 272.

² – ينظر، المرجع نفسه، ص ص: 228، 229.

³ – عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب، مرجع سابق، ص 137.

✓ **الحجة الموجهة:** أو الحجة التوجيهية و هي فعل استدلالي يأتي به المتكلم، و إن تعددت الحجة المجردة بفضل اعتبارها لمقام المدعي، قصدا أو فعلا، فإنها لا ترقى إلى مستوى الوفاء بموجبات الاستدلال في الخطاب الطبيعي، إذ تبني أصلا على اعتبار فعل المخاطب و إلغاء فعل المخاطب.

✓ **الحجة التقويمية:** أو الحجة المقومة و هي فعل استدلالي يأتي به المتكلم بغرض إفادة المستمع مع فحوض المستمع بتقويم هذا الفعل، و تقوم بما ينضوي عليه الاستدلال في الخطاب الطبيعي من أسباب الشراء، والاتساع، إذ تنبني أصلا على اعتبار فعل الإلقاء و فعل التلقي معا.¹

لقد ميّز طه عبد الرحمان بين الحجاج والبرهان حيث يرى أن الأصل في الالتباس الحجاجي هو أن الحجاج يجتمع فيه اعتباران هما: "اعتبار الواقع" و "اعتبار القيمة"؛ فإذا كان البرهان يبنى على مبدأ الاستدلال على حقائق الأشياء مجتمعة إلى مقاصدها للعلم بها، فإن الحجاج يبنى على مبدأ الاستدلال على حقائق الأشياء المجتمعة إلى مقاصدها للعلم بالحقائق و العمل بالمقاصد.²

و قد انطلق طه عبد الرحمان في بناء نظريته التعارضية إلى الاستعارة من الافتراضات الآتية:

- أن القول الاستعاري قول حوارى ، و حواريته صفة ذاتية له.
- أن القول الاستعاري قول حجاجي، و حجاجيته من الصنف التفاعلي نخصه باسم "التحاج".
- أن القول الاستعاري قول عملي و صفته العملية تلازم ظاهره البياني و التخيلي.³

كما أدرج في كتابه أصول الحوار و تحديد علم الكلام ، الحوارية باعتبارها خاصية من خصائص الحجاج، و جعلها مراتب ثلاثة : "الحوار" و "المحاورة" و "التحاور" تناسب تصنيفا

¹ - محمد حمودي ، الحجاج و استراتيجيات الإقناع عند طه عبد الرحمان ، مرجع سابق، ص ص: 132، 133.

² - ينظر، طه عبد الرحمان، اللسان و الميزان، مرجع سابق، ص 230.

³ - المرجع نفسه، ص 310.

ثلاثيا للنظريات الحوارية المتداولة في مجال البحث الخطابي: "النظرية العرضية" و"النظرية الاعتراضية" و"النظرية التعارضية"¹.

• النماذج التواصلية للحجة:

يقول طه عبد الرحمان و لما كان كل حجاج تواصل، فإننا نجعل على ثلاث نماذج تواصلية للحجة و هي:

- النموذج الوصلي للحجة: تكون فيه الوظيفة التواصلية للحجة وظيفة وصل، إذ يعامل الحجة معاملة البناء الاستدلالي المستقل الذي تكون عناصره موصولة وصلا تاما.
- النموذج الإيصالي للحجة: تكون فيه الوظيفة التواصلية للحجة وظيفة اتصال لأنه يجعل من الحجة فعلا استداليا يتوجه به المقام إلى المستمع.
- النموذج الاتصالي للحجة: تكون فيه الوظيفة التواصلية للحجة وظيفة اتصال، إذ ينظر في الحجة بوصفها فعلا مشتركا بين المتكلم والمستمع، جامعا بين توجيه الأول و تقويم الثاني².

و لعل المتلقي يلاحظ من خلال هذه النماذج التواصلية الثلاثة للحجة أن طه عبد الرحمان يفرق بين "الوصل" و هو نقل الخبر و يفيد المصطلح معنى الجمع بين طرفين بواسطة أمر مخصوص. و الوصل لا يكون إلا بـ "وصل" هو بالذات الخبر، و "الإيصال" هو نقل الخبر مع اعتبار مصدر الخبر الذي هو المتكلم و بين "الاتصال" و هو نقل الخبر مع اعتبار مصدر الخبر الذي هو المتكلم و اعتبار مقصده الذي هو المستمع معا.³

• مراتب الحجاج:

يشير طه عبد الرحمان أن تصور المراتب يتخذ عند الباحثين أشكالا ثلاثة، و هي:

¹ - طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، مرجع سابق، ص 31
² - ينظر، طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، مرجع سابق، ص ص: 255، 256.
³ - محمد حمودي، الحجاج و استراتيجيات الإقناع عند طه عبد الرحمان، مقارنة استمولوجية، مرجع سابق، ص 133.

- **المراتب المتضادة:** فقد تكون الألفاظ دالة على معان يمكن ترتيبها بين طرفين متباينين. مثال ذلك، جملة الألفاظ المرتبة "الرمضاء، الحرّ، الدفء، الفتور، البرد، القرس"، فهذه الجملة تتضمن اللفظين "الرمضاء" و"القرس" اللذين هما بمترلة طرفين أعلى وأسفل متباينين بينهما مراتب أربع.

- **المراتب الموجهة توجيها كميا:** يوجد هذا الضرب من المراتب في الألفاظ الدالة على معان تقبل التدرج في اتجاه واحد، إما على مقتضى التزايد أو على مقتضى التناقص. مثال ذلك..... معايير الوزن الآتية "درهم مثقال، أوقية، رطل" المرتبة على سبيل الزيادة في الوزن أو "رطل، أوقية، مثقال، درهم" المرتبة على سبيل النقص منه.

- **المراتب الموجهة توجيها قصديا:** قد تدخل المراتب على الألفاظ وحدها بل كذلك على الجمل، فيكون قصد المتكلم عاملا في تحديد اتجاه المراتب التي تترها هذه الجمل. مثال ذلك أن يقصد المتكلم التوقف عن العمل متى شعر بالملل و بالأولى متى غلب عليه النوم، فالقولان: شعر المتكلم "بالملل" و غلب على المتكلم النوم هما بمثابة مرتبتين متفاوتتين بينهما يوجب القصد الذي للمتكلم في التوقف عن العمل.¹

• السلم الحجاجي:

كما يعرف السلم الحجاجي بقوله:

السلم الحجاجي هو عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية، و موفية بالشرطين التاليين :

- كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عته ما يقع تحته ن بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه.²
- كل قول كان في السلم دليلا على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه.

¹ - ينظر ، طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، مرجع سابق، ص: 274 ، 275.

² - المرجع نفسه، ص 277.

• قوانين السلم الحجاجي:

و يذكر طه عبد الرحمان ثلاثة قوانين من قوانين السلم الحجاجي، و هي: قانون الخفض أو قانون بتبدل السلم وقانون القلب.

– **قانون الخفض:** مقتضى هذا القانون أنه إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم، فإن نقيضه بصدق في المراتب التي تقع تحته.

– **قانون تبديل السلم:** مقتضى هذا القانون الثاني أنه إذا كان أحد القوانين أقوى من الآخر في التدليل على مدلول معين، فإن نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله.

– **قانون القلب:** مقتضى هذا القانون الثالث أنه إذا كان أحد القولين أقوى من الآخر في التدليل على مدلول معين فإن نقيض الثاني أقوى من نقيض الأول في التدليل على نقيض مدلوله.¹

و يصرح طه عبد الرحمان في كتابه اللسان و الميزان أن أول من استخدم آليات حجاجية لوصف الاستعارة هو إمام البلاغيين العرب عبد القاهر الجرجاني، فقد أدخل مفهوم الادعاء بمقتضياته التداولية الثلاثة "التقرير" و "التحقيق" و "التدليل" كما استفاد في ثنايا أبحاثه من مفهوم التعارض من غير أن يطرحه طرحاً إجرائياً صريحاً.²

• مفهوم الادعاء:

أدرك طه عبد الرحمان أن سرّ إدراك عبد القاهر للالتباس الاستعاري يقوم في قوله بالادعاء³

خصائص الادعاء ثلاثة وهي :

¹ – طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، مرجع سابق، ص: 277 ، 278.

² – المرجع نفسه، ص 313.

³ – المرجع نفسه، ص 304.

مبادئ الادعاء و مقتضياته:

- أولها، مبدأ ترجيح المطابقة: مقتضاه أن الاستعارة ليست في المشابهة بقدر ما هي في المطابقة.
- و الثاني، مبدأ أثر ترجيح المعنى: مقتضاه أن الاستعارة ليست في اللفظ بقدر ما هي في المعنى.
- و الثالث، مبدأ ترجيح النظم: مقتضاه أن الاستعارة ليست في الكلمة بقدر ما هي في التركيب.

● مفهوم التعارض:

يؤكد طه عبد الرحمان أن عبد القاهر الجرجاني كان أسبق إلى ملاحظة الخاصية التعارضية للاستعارة، و ما يدل على سبق الجرجاني في هذا المضمار من ترديده للاستعارة بين " التحقيق " و " التخيل "، كما أن عبد القاهر الجرجاني وضع أصول نظريته في الاستعارة متأثراً بذلك بجانبين اثنين :

- أساليب في الحجاج: متعارف عليها كالردّ على أقاويل المعارض و شبه تأويله و كالتوجيه إلى المخاطب و افتراض علمه و اقتناعه بما يلقي إليه و بناء الأحكام و القواعد على هذا الافتراض

- الجهاز الحجاجي للمناظرة: و هو جهاز مفهومي متأصل في المجال التداولي الإسلامي العربي، فقد عمد الجرجاني إلى اقتباس عناصر مختلفة في تكوين تصوره للاستعارة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر "الادعاء" و "الدعوى" و "الإثبات" و "التقرير" و "السؤال" و "الاعتراض" و "المعارضة" و "الدليل" و "الشاهد" و "الاستدلال" و "القياس"، كما جعل من مفهوم "الادعاء" أدواته الإجرائية أساسية في وصف آليات الاستعارة ونقله إلى هذا المجال البلاغي بكل أوصافه المشهورة، التي تعود إلى ثلاثة أصلية التقرير أو الخبر و التحقيق والتدليل.¹

¹ - طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، مرجع سابق، ص 309.

● المناظرة عند طه عبد الرحمان:

عالج طه عبد الرحمان المنهج الكلامي في ممارسة المتكلمين فأثبت قضيتين :

أولهما: الخطاب الكلامي و الخطاب الفلسفي التداولي لا يختلفان من حيث شروطهما الاستدلالية الحجاجية.

ثانيهما: علم الكلام يتصف بخصائص تداولية لا تشاركه فيها الفلسفة البرهانية، كما عالج الاستدلال الكلامي في صورة القياس من زاوية التحليل الخطابي فحدد مسلماته و عملياته وقواعده الخطابية.¹

يرى طه عبد الرحمان أن الحجاج الفلسفي التداولي هو "فعالية استدلالية خطابية مبناها عرض رأي، أو الاعتراض عليه، و مرماها إقناع الغير بصواب الرأي المعروض أو ببطلان الرأي المعارض عليه استنادا إلى مواضع البحث عن الحقيقة الفلسفية"². و هذا مما يجعل الحجاج الفلسفي التداولي بناءً مثنويا تقابليا يتواجه فيه عارض و معارض بحيث يتوجه فيه كل منهما بآليات إقناعية خاصة و حقوق و واجبات محددة ؛ و أن هذا الحجاج يتحدد بوصفه عملية مفاعلة.

و هكذا توصل طه عبد الرحمان أن كل خطاب استدلالي يقوم على "المقابلة" و "المفاعلة" الموجهة يسمى "مناظرة" كما ذهب إلى طه عبد الرحمان في كتابه أصول الحوار و تحديد علم الكلام على "أن الحجاج الفلسفي التداولي صورته المناظرة الإسلامية".

و بالتالي فمنهج الفلسفة التداولية حسب طه عبد الرحمان هو المناظرة القائمة على الحوار والجدال والنقاش الحاد المدعم بالحجج و البراهين المنطقية ، و هذا ما نلمسه من خلال

¹ - طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، مرجع سابق، ص 31.

² - طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، مرجع سابق، ص 66.

قوله: "ولا يزال المرء فيلسوفا ما ناظر غيره أو ناظره غيره، فإذا صار إلى إنكاره مناظره، و نظر بمفرده، وبرهن قصر عن غرضه و اعتصب ما لسواه (أي ذهب مذهب الرياضي المنطقي).¹

و بشير طه عبد الرحمان إلى أن أغلب المعارف الإسلامية التي تأخذ بمسلك المناظر الجدلي، تتفاوت في درجة التقى دبه على قدر الافتقار إليه بمقتضى نوعية شروطها المعرفية، و لم يأخذ أي مجال علمي إسلامي بهذا المنهج مثلما أخذ به " علم الكلام"، هذا العلم الذي قام على تواجد العقائد سواء بين أصحاب الملة الواحدة أو بين أصحاب الملل المختلفة، حتى نرى أنه أحق أن يدعى "علم المناظرة العقدي" من أن يدعى باسم آخر، فيكون "رجل الكلام" أو "المتكلم" هو من قام بالشروط الآتية:²

– معتقدا: يقوم اعتقاده في التسليم بما ورد في كتاب الله والسنة المحمدية من لدن الشرع؛ واعتبارا لهذا الجانب، سمي علم الكلام بـ "علم التوحيد" و "علم الوجود بما هو موجود" على قواعد الإسلام.

– ناظرا: لما كان الناظر هو طلب الفكر لشيء مخصوص سالكا إليه مخصوصه يعتقد أنها قادرة على الظفر به ، فإن المتكلم يطلب تعقل أصول العقيدة و تعقليها ، و ذلك بأن يسلك فيها سبل الاستدلال و الإقناع، مما أدى إلى تسمية علم الكلام بعلم النظر و الاستدلال.

– محاورا: مقتضى المحاوره أنه لا خطاب بين اثنين ، لكل منهما مقامان هما مقام المخاطب ومقام المخاطب ، ووظيفتان وظيفة العارض و وظيفة المعارض . وقد كانت هذه الصفة الحوارية للمتكلم داعيا إلى حمل الكلام على معنى "المكالمه" و المناظرة، و إلى تسمية "علم الكلام" بـ "علم المقالات الإسلامية".³

¹ – فاطمة مقدم، مجلة المدونة الحجاج الفلسفي التداولي صورته المناظرة الإسلامية قراءة في أصول الحوار و تحديد علم الكلام لـ: دطه عبد الرحمان، (مجلة) إشراف ناظر اسطنبول، ديسمبر 2017، ص 632.

² – المرجع نفسه، ص 635.

³ – طه عبد الرحمن، في أصول الحوار و تحديد علم الكلام، مرجع سابق، ص 71.

و قد حدّد طه عبد الرحمان أصول منهج المناظرة و حصره في أربعة عناصر وهي : "لما كان غرض المناظرة"أو"البحث"كما أطلق عليها إظهار الصواب ، فقد حددت لها شروط عامة هي:

✓ لا بد لها من جانبيين

✓ لا بد لها من دعوى

✓ لا بد لها من مآل يكون بحجز أحد الجانبين

✓ لكل من الجانبين آداب و وظائف

كما يرى أن من شرط المناظرة جملة من الآداب التي ينبغي أن يتخلق بها كل مناظر، نذكر بعضها على سبيل المثال:

- أن يكون المتناظران متقاربين مغرفة و مكانة حتى لا يؤدي استعظام أحدهما الآخر واستحقاره له، إلى أن يضعف عن القيام بحجته أو يتهاون فيه.
- أن يُمهّل المناظر خصمه حتى يستوفي مسأله، كي لا يفسد عليه توارد أفكاره و حتى يفهم مراده من كلامه، كي لا يقول ما لم يقل.
- أن يتجنب المناظر الإساءة إلى خصمه بالقول أو الفعل بغية إضعافه عن القدح بحجته، ومن ذلك قلة الإصغاء إليه، و السخرية منه و تحجيلة بفضح عيوبه، و تشنيعه بالقدح في كلامه، والتطاول عليه بالتنقيص و الشتم.
- أن بقصد المناظر الاشتراك مع خصمه في إظهار الحق و الاعتراف به ، حتى لا يتباهى به إذا ظهر على يده و لا يعاند إذا ظهر على يد خصمه.
- أن يتجنب المناظر محاورة من ليس مذهبه إلا المضادة ، لأن من كام هذا مسلكه لا ينفع معه الإقناع بالحجة.¹

و خلاصة القول أن طه عبد الرحمان قد توصل إلى جملة من العناصر:

¹ - طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، المرجع السابق،، ص74، 75.

- أن المناظرة الإسلامية لم تكن أداة للمنازعة و إنما كانت وسيلة من وسائل المعرفة وممارسة العقل من أجل "التنمية المعرفية و الممارسة العقلية".
- أن المناظرة تنتهج سبلا في الدلالة و الاستدلال تعتبر أقل قيود و أوسع حدودا من غيرها من المناهج التي يتوصل بها إلى المعارف المطلوبة .
- المناظرة ممارسة حوارية غايتها الاشتراك بغرض الوصول إلى الحق، لأن الحجاج يسهم في توسيع العقل وتعميق مداركه بما لا يعمقه النظر الذي لا جدال فيه و لا حوار معه.
- اعتبار المناظرة الإسلامية موضوع ذي طبيعة لغوية منطقية يعتمد على جملة من البنى الاستدلالية

فالفلسفة ذات الطابع البرهاني لا يمكنها أن تتخلص من الخطاب الطبيعي و لا تستفيد من ثرائه، فأصبح لزاما عليها أن توظف وسائل هذا الخطاب التبليغية و تحقيق الإمكانيات الفكرية الكامنة وفق مقتضيات التداولية و هذا ما عرف بـ "الفلسفة التداولية".

نستنتج من خلال دراستنا للحجاج عند طه عبد الرحمان أن هذا الأخير قد زاوج في أعماله بين القديم العربي و الحديث الغربي و ذلك من خلال كتابه (أصول الحوار تحديد علم الكلام و كتابه اللسان و الميزان حيث كان يهدف إلى تأسيس مفهوم الحجاج بوصفه استراتيجية إقناعية و عملية خطابية. وقد عقد في كتابه اللسان والميزان بابا سماه الحجاج و الخطاب عرض لأنواع الحجج و أصنافها و ركّز على السلم الحجاجي بوصفه عمدة الحجاج، و ذهب إلى دراسة الاستعارة من وجهة نظر حجاجية.

3- أوجه الاتفاق و الاختلاف بين مشروع ابن وهب و مشروع طه عبد

الرحمان:

من خلال هذه المقارنة سنحاول أن نقف عند نقاط الاتفاق و الاختلاف بين الرجلين ابن وهب و طه عبد الرحمان اعتمادا على ما تناولناه سابقا ، مركّزين على عناصر مهمة لكل

منهما و تجدر الإشارة هنا إلى أن بعض هذه العناصر قد يتسع معناها أو يضيق، و قد يتداخل بعضها في الآخر.

أ-أوجه الاتفاق بين مشروعى ابن وهب و طه عبد الرحمان:

الاتفاق الأول: في مفهوم الحجاج (تداولي- إقناعي)

● فابن وهب يرى أن البيان ينتج بالاستنباط المعرفي عن طريق الاعتبار و الاعتقاد ويتداول بالعبارة و الكتاب.

كما يعرف الجدل أما الجدل و المجادلة هما قول يقصد بهما إقامة اختلاف فيه اعتقاد المتجادلين. الحجة فيما .

● و هذا المفهوم يتشابه إلى حد كبير مع مفهوم الحجاج عند طه عبد الرحمان، فهو يرى أن الحجاج فعالية تداولية جدلية قائم على جانبيين:
- جانب تداولي: لأن الطابع الفكري مقامي و اجتماعي
- جانب جدلي: قائم على الإقناع.

الرجلان أقرأ أن الحجاج يبنى على التداول الذي يرتبط بالاقناع

الاتفاق الثاني: كلاهما فرق بين الحجاج و البرهان

● البيان عند ابن وهب إقناعيا لا يشتغل على المقدمات القطعية و الصورية، بل يتعلق بما هو ظني فيها ليكون هدف هذا البيان بناء المعرفة عن طريق التصديق لا على اليقين والحجة، على معنى الإقناع لا البرهان.

● و هو ما يتوافق مع طه عبد الرحمان: حقيقة الاستدلال في الخطاب الطبيعي أن يكون حجاجيا لا برهانيا صناعيا. فالحجاج يرتبط بالخطاب الطبيعي أو اللغات الطبيعية بينما تستعمل البرهنة في اللغات الصناعية و الرمزية.

اتفقا على أن الحجاج يرتبط باللغة الطبيعية و البرهان باللغة الصناعية.

الاتفاق الثالث: الحجاج والحوار

- عند ابن وهب البيان باللسان و يتعلّق بالخطاب الشفاهي، وأن المخاطب حاضر و هذا يتجلى أكثر في المناظرة و الجدل والحوار و مراعاة السامع - حضوره لدى المتكلم أو غيابه- ميزة حجاجية ماثلة في مباحث كلامية.
- وهذا مع ما يلتقي مع الحوار عند طه عبد الرحمان الحوار لا يوجد إلا حيث يوجد الاختلاف (المناظرة) و من ثم فهو قائم على اعتبار الآخر لا إلغائه.
- الملاحظ أنهما جعلوا الحجاج لا يتم إلا من خلال الحوار.

الاتفاق الرابع : العلاقة المجازية

- عند ابن وهب ظاهر وباطن أما الظاهر ما أدرك بالحس كتبيننا حرارة النار وبرودة الثلج عند الملاقاة لهما أما الباطن فهو ما غاب عن الحس واختلفت العقول في إثباته والباطن هو المحتاج إلى تفسير لأن اللفظ يخرج عن ما وضع له من معناه الحقيقي إلى معناه المجازي وهذا ما يعزز حجاجية الاستعارة .
- وهو ما يتطابق مع طه عبد الرحمن الأصل في الحجاج صفته المجازية بناء على أنه لا خطاب بغير مجاز "الحجاج لا يقوم في مجرد العلاقة الاستدلالية بين جانبيين اثنين ، وإنما ماهية الحجاج تقوم في كونه ينطوي على قدر من الالتباس، فهذا الالتباس هو إذن الفاصل بين الحجاج والبرهان" لا يخفى على ذوي البصيرة أن نموذج العلاقة المجازية هو العلاقة الاستعارية.
- نرى أنهما ربط الحجاج بالمجاز لأن الحجاج احتمالي .

الاتفاق الخامس: القياس

- القياس عند ابن وهب في اللغة: "التمثيل والتشبيه و هما يقعان بين الأشياء في بعض معانيها لا في سائرهما ، لأنه ليس يجوز أن يشبه شيء شيئا في جميع صفاته و يكون غيره، و التشبيه لا يخلو من أن يكون تشبيها في حد أو وصف أو اسم".¹
- و القياس عند طه عبد الرحمان: "هو البنية الاستدلالية لكل قول طبيعي حقيقة كان أو مجازا فإن كان القول مجازا ، فإما أنه استعاري أو غير استعاري، فإن كان الأول فلا منازعة في صفة المشابهة القياسية التي تقوم بها الاستعارة، و إن كان الثاني فمرده إلى "دلالة المفهوم" المعبر في القياس. و أما إن كان القول حقيقة فلا مندوحة من التسليم بأن تعقله. مما سبق يتضح أن القياس عندهما هو الانتقال من المقدمات إلى النتائج و بهذا يكون الاقناع.

الاتفاق السادس: الحجة

- عند ابن وهب يقول: "إن الجدل إنما يقع في العلة"². و قد جعل ابن وهب العلة نوعين قريبة و بعيدة؛ فالقريبة ما كان المعلول تاليها، و البعيدة ما كان بينه و بينها عسرة.
 - و عند عبد الرحمان الحجج مراتب، الحجة المساوية و العليا و الدنيا وأصناف الحجج ثلاثة نماذج تواصلية للحجة، الوصلي الإيصالي، و الاتصالي.
- ونلاحظ أنهما ركزا على الحجة وأن الاقناع لا يكون إلا بوجود الحجج المقنعة.

الاتفاق السابع: الحجاج والتواصل

¹ - إسحاق بن وهب، البرهان في وجوه البيان، مرجع سابق، ص67.

² - محمد العيد، النص و الخطاب و الاتصال، مرجع سابق، ص151.

● عند ابن وهب البيان باللسان و يتعلق بالخطاب الشفاهي و أن المخاطب حاضر و مراعاة السامع .

● و عند طه عبد الرحمان ، بأن لفظ "الحجاج" لا يدور على الألسن مثلما يدور عليها لفظ "التواصل" و لو انه لا تواصل باللسان من غير حجاج و لا حجاج بغير تواصل باللسان". يتضح لنا أن الحجاج لا يكون إلا بوجود طرفي الخطاب المتكلم و السامع.

الاتفاق الثامن : العلاقة الاستدلالية

● يرى ابن وهب أن طلب العلة يكون على وجهين: إما أن تطلبها و أنت لا تعلمها لتعلمها، وإما أن تطلبها و أنت تعلمها ليقرّ لك بها، و ليس لك أن تجادل أحدا في حق يدّعيه إلا بعد مساءلته عن العلة فيما ادعاه فيه .

● وأما طه عبد الرحمن يقول: إذا ثبت أن الأصل في الحجاج هو الأصل في الخطاب ثبت أيضا أن العلاقة الاستدلالية هي علاقة أصلية.¹ و انطلق من تعريف قصدي الادعاء والاعتراض، و قصد الادعاء يقتضي "أن المنطوق به لا يكون خطابا حقا حتى يحصل من الناطق صريح الاعتقاد، لما بقول من نفسه، و تمام الاستعداد لإقامة الدليل عليه عند الضرورة، ذلك لأن الخلوّ عن الاعتقاد يجعل الناطق، إما ناقلا لقول غيره، فلا يلزمه اعتقاده، وإما كاذبا في قوله، فيكون عابثا باعتقاد غيره، و لأن الخلوّ عن الاستعداد للتدليل يجعل الناطق إما متحكما بقوله، فلا يتوصّل إلا بالسلطان، و إما مؤمنا بقول غيره، فلا يحتاج إلى برهان"، و إما قصد الاعتراض فمقتضاه أن المنطوق به لا يكون خطابا حقا حتى يكون المنطوق له حق مطالبة الناطق بالدليل على ما يدعيه، ذلك لأن فقد المنطوق له لهذا الحق يجعله إما دائم التسليم بما يدعيه الناطق، فلا سبيل إلى تمحيص دعاويه، و إما عديم المشاركة في مدار الكلام .

نستنتج أنهما جعلتا العلاقة الاستدلالية تقوم على طرفين مدعي و معترض.

¹ - طه عبد الرحمن، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي، مرجع سابق، ص 225.

الاتفاق التاسع: كلاهما تحدث عن مراعاة المقام

- فقد حرص ابن وهب على ضرورة مراعاة المقام إذ على الخطيب أو المترسل أن يكون عارفا بمواقع القول و أوقاته و احتمال المخاطبين له.
 - و يقابله عند طه عبد الرحمان: إذا جاز أن المحاوره تستند إلى نماذج تنتمي إلى المجال التداولي كل ذلك لأنه يأخذ مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومعتقدات موجهة و مطالب إخبارية و أغراض عملية.
- يتضح لنا من كلاهما بما أن الحجاج تداولي فوجب فيه مراعاة المقام.

الاتفاق العاشر: كلاهما عالج الحجاج من وجهة نظر فلسفية منطقية

- اعتمد ابن وهب الترتيب المنطقي في صوغ أقسام فجعله على أربعة أوجه، فمنه بيان الأشياء بذواتها وإن لم تبين بلغاتها، و منه الذي يحصل في القلب عند إعمال الفكر واللب. استند بيانه على الاستدلال و الإقناع من خلال دفاعه عن البيان المعرفي، ومن خلال إشادته بالعقل، حيث خصص جوهر مقدمة كتابه للحديث عن العقل و التنويه به ليربطه بعد ذلك بالبيان "فالبيان ناجم عن إعمال الإنسان النظر العقلي في الأشياء، والأشياء دليل العقل، فيصبح عمل ابن وهب من منظور "أقرب إلى نظرية معرفية"¹.
- كما تميزت نظرة طه عبد الرحمان للحجاج بطابعها الفلسفي المنطقي من خلال كتابه للسان والميزان، و يعدّ من الكتب الهامة في مجال التداوليات. و يقول في مقدمته "و لما كنا نؤثر التأليف المنطقي الاجتهادي على التأليف المنطقي المدرسي كما نؤثر التأليف الفلسفي المنطقي على التأليف الفلسفي التاريخي، فقد جمعنا في هذا الكتاب أبحاثا منطقية لسانية تدخل في باب التأليف الاجتهادي"².

نستنتج مما سبق أن نظرتهما للحجاج كانت منطقية فلسفية وذلك بتركيزيهما على العقل.

¹ - عادل عبد اللطيف بلاغة الإقناع و المناظرة، مرجع سابق، ص: 126، 127.

² - طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، مرجع سابق، ص: 18.

الاتفاق الحادي عشر: كلاهما ربط الحجاج بالخطاب الطبيعي

• ارتبطت البلاغة عند ابن وهب بالاتجاه الخطابي، و استند بيانه على الاستدلال و الإقناع والدليل على استيعاب ابن وهب للآلية الرئيسة في بلاغة الإقناع (القياس) و الاهتمام بنوعه الخطابي، و هو الأنسب للغة الطبيعية.¹

• و هذا ما ركّز عليه طه عبد الرحمان إذ ربط الحجاج بالخطاب الطبيعي أو اللغات الطبيعية.

مما سبق يتضح أنهما يريان أن الحجاج ينطق من اللغة في حد ذاتها أي من الخطاب الطبيعي.

الاتفاق الثاني عشر: البعد التداولي

• وفق تصور ابن وهب فإن الآراء و الاعتقادات التي يتبناها الإنسان لا تتعداه إلى غيره إلا اعتمادا على العبارة أو القول، و يعتبر ابن وهب هذا البيان "أعمّ نفعا لأن الإنسان يشترك فيه مع غيره"²، و ظاهر ميزة القول و أفضلية الخطاب نابعتان من خاصية الاشتراك التي تطبعه، فالقول لا يكون إلا حوارا.

• و عند طه عبد الرحمان، فكل متكلم يتوج إلى غيره مطبعا إياه على ما يعتقد و ما يعرف ومطالبها إياه بمشاركة اعتقاداته و معارفه.

نستنتج أن كلاهما بنى الحجاج على مبدأ التشارك.

الاتفاق الثالث عشر: اعتبار القيمة واعتبار الواقع

• الظاهر عند ابن وهب توضع الألفاظ في معانيها الحقيقية، و هذا يتطابق مع ما ورد في البلاغة العربية مطابقة مقتضى الكلام و يقابله في البحث الحجاجي الاستدلال المنطقي الحقيقي.

¹ - عادل عبد اللطيف، بلاغة الإقناع و المناظرة، مرجع سابق، ص 70.

² - إسحاق ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، مرجع سابق، ص 58.

الباطن عند ابن وهب: هو المحتاج إلى تفسير، لأن اللفظ يخرج عما وضع له من معناه الحقيقي إلى معناه المجازي.

- و عند طه عبد الرحمان الالتباس الحاصل في الاحتجاج مردّه إلى اعتبارين اثنين هما: اعتبار الواقع واعتبار القيمة .
- أن اللبس في الاحتجاج هو مخالفة اللفظ للواقع أو معناه الحقيقي .

الاتفاق الرابع عشر: الظن والاحتمال

- البيان عند ابن وهب يدخل في باب الظن و الاحتمال و الاستناد على الرأي و الاختلاف.
- و هذا ما عبّر عنه طه عبد الرحمان بقوله: الحجاج يبني على مبدأ الاستدلال على حقائق الأشياء المجتمعة إلى مقاصدها للعلم بالحقائق و العمل بالمقاصد.
- أن الحجاج يقوم على الاحتمال لا على اليقين .

الاتفاق الخامس عشر: كلاهما عرّف المناظرة

- فنجد الجدل عند ابن وهب، "أما الجدل والمجادلة فهما قول يقصد بهما إقامة الحجة فيما اختلف فيه اعتقاد المتجادلين، و يستعمل في المذاهب و الديانات"¹.
- أما طه عبد الرحمان فعرّف المناظرة: "أن الحجاج الفلسفي هو فعالية خطابية مبناهما عرض رأي أو الاعتراض عليه، و مرماها إقناع الغير بصواب الرأي المعروض أو ببطلان الرأي المعارض عليه استنادا إلى مواضع البحث في الحقيقة الفلسفية".²
- أن الحجاج لا يكون إلا من خلال المناظرة.

الاتفاق السادس عشر: شروط المناظرة

¹ - إسحاق ابن وهب ، البرهان في وجوه البيان، مرجع سابق، ص 176.

² - طه عبد الرحمان، أصول الحوار و تحديد علم الكلام، مرجع سابق، ص 66.

كلاهما وضع شروطا للمناظرة و هي جملة من الآداب التي ينبغي أن يتخلّق بها كل مناظر، منها:

- ✓ أن يكون المتناظران متقاربين مغرفة ومكانة.
- ✓ أن يمهّل المناظر خصمه حتى يستوفي مسأله.
- ✓ أن يتجنب المناظر الإساءة إلى خصمه بالقول أو بالفعل.
- ✓ أن يقصد المناظر الاشتراك مع خصمه في إظهار الحق.
- ✓ أن يتجنب المناظر محاوره من ليس مذهبه إلا المضادة.¹

ب- أوجه الاختلاف و بين مشروعى ابن وهب و طه عبد الرحمان:

أما إذا عدنا إلى نقاط الاختلاف، فنجد الرجلين لا يختلفان إلا في بعض المصطلحات أو بعض الإضافات تفرّد بها طه عبد الرحمان عن نظيره ابن وهب؛ و من هذه الاختلافات:

الاختلاف الأول: مصطلح الحجاج

مصطلح الحجاج عند ابن وهب	مصطلح الحجاج عند طه عبد الرحمان
• يرد الحجاج عند ابن وهب بالبيان البيان بقوله: "البيان على أربعة أوجه: فمنه	• أما طه عبد الرحمان فقد أضاف تسمية أخرى للحجاج، و هي: المنهج الاستدلالي

¹ - المرجع نفسه، ص: 74، 75

بقوله: المنهج الاستدلالي: الحجاج.²	بين الأشياء بذواتها وإن لم تبين بلغاتها، و منه البيان الذي يحصل في القلب عند إعمال الفكر و اللب، و منه البيان باللسان، ومنه البيان بالكتاب الذي يبلغ من بعد وغاب"¹ • كما ورد الاحتجاج عنده باسم الجدل: "أما الجدل والمجادلة، فهما قول يقصد بهما إقامة الحجة فيما اختلف فيه اعتقاد المتجادلين، و يستعمل في المذاهب والديانات".
--	--

الاختلاف الثاني: مصطلح العلة

مصطلح العلة عند طه عبد الرحمان	مصطلح العلة عند ابن وهب
• أما طه عبد الرحمان فاستعمل الحجة وهي دالة على معنى القصد و الاستدلال وهو الفعل "حج"، كما أطلق عليها اسم الدليل و أعطى حكماً بأنّ الدليل أعمّ من	• يقع الجدل عند ابن وهب في العلة و أن الإقناع بالجدل إنما هو ناتج عن تعليل، يقول: "إن الجدل إنما يقع في العلة" ويقصد بالعلة الحجة.

¹ - محمد العيد، النص و الخطاب و الاتصال، مرجع سابق، ص 152.

² - طه عبد الرحمان، أصول الحوار و تحديد علم الكلام، مرجع سابق، ص 46.

الحجة.	
--------	--

الاختلاف الثالث: القياس

مصطلح القياس عند ابن وهب	مصطلح القياس عند طه عبد الرحمان
• عند ابن وهب لم يرد إلا باسم القياس	• أما عند طه عبد الرحمان فقد سماه بالاستدلال الكلامي في كتابه أصول الحوار وتحديد علم الكلام.¹

الاختلاف الرابع: في المفهوم القياس

عند ابن وهب	عند طه عبد الرحمان
• جعل ابن وهب نتائج القياس ثلاث: "إحداها ما صدر عن قول مسلم في العقل لا خلاف فيه، فتكون النتيجة عنه برهانا... والأخرى ما صدر عن قول مشهور إلا أنه مختلف فيه، فتكون النتيجة عنه إقناعا... والثالثة ما صدر عن قول كاذب و ضع للمغالطة"²	• جعل الحجاج علاقات ثلاث هي: العلاقة الاستدلالية، بين المتكلم و المستمع، وما يبعث المتخاطبين للحجاج، الادعاء والاعتراض... العلاقة التخاطبية: يكون للمتكلم فيها فضل السبق في إقامتها كما يكون له الحق الانتهاض فيها بأدوار مختلفة مما يجعله لا ذاتا واحدة، و إنما ذات متعددة للعلاقة المجازية"³

الاختلاف الخامس: مصطلح المناظرة

¹ - عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، مرجع سابق، ص90.

² - إسحاق ابن وهب ، البرهان في وجوه البيان، مرجع سابق، ص69، 68.

³ - طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، مرجع سابق، ص224.

عند ابن وهب	عند طه عبد الرحمان
• جعلها ابن وهب مناظرة و مجادلة	• أطلق عليها الحجاج الفلسفي التداولي

الاختلاف السادس: آليات الادعاء و الاعتراض

عند ابن وهب	عند طه عبد الرحمان
• لم يتطرق لهما ابن وهب كمصطلح واكتفى بوضع تعريف للقياس بقوله: الانتقال من المقدمات إلى النتائج.	• أفرد بها طه عبد الرحمان شرحا وافيا في ثنايا كتبه .

الاختلاف السابع: أنواع الحجاج

عند ابن وهب	عند طه عبد الرحمان
• قسّم ابن وهب العلة إلى نوعين: قريبة وبعيدة. فالقريبة ما كان المعلول تاليها، و البعيدة ما كان بينه و بينها غيره.	• عند طه عبد الرحمان تكون للحجة الواحدة من المراتب بعدد مراتب هذه العناصر كان بالإمكان إجمالها في مراتب حجاجية ثلاث، كبرى: وهي الحجة المساوية أو الحجة العليا أو الحجة الدنيا .

الخلاص الثامن : أصناف الحجاج

عند ابن وهب	عند طه عبد الرحمان
• قسّم ابن وهب البيان إلى أربعة أوجه: الاعتبار، والاعتقاد، والعبارة، والكتاب.	• قسّم طه عبد الرحمن الحجاج إلى ثلاثة أصناف: الصنف الأول يعنى بالتجريد فكان حجاجا تجريديا، والثاني يعنى بالتوجيه فكان حجاجا توجيهيا، والثالث يعنى

بالتقويم وذلك هو الحجاج التقويمي	
----------------------------------	--

الاختلاف التاسع : أقسام الحجاج

عند ابن وهب	عند طه عبد الرحمان
• قسّم ابن وهب البيان إلى ظاهر وباطن: الباطن ما غاب عن الحسّ واختلفت العقول في إثباته، والظاهر لا يحتاج إلى تفسير وتوضيح .	• قسّم طه عبد الرحمن الحجّة إلى ثلاثة نماذج تواصلية: هي النموذج الوصلي للحجة، والنموذج الاتصالي للحجة والنموذج الايصالي للحجة .

الاختلاف العاشر : مقاييس الحجاج

عند ابن وهب	عند طه عبد الرحمان
• قسّم ابن وهب الجدل إلى محمود ومذموم، فالجدل المحمود ما قصد به الحق واستعمل به الصدق، والجدل المذموم: ما أريد به المماراة والغلبة والرياء والسمعة.	• أما طه عبد الرحمن فجعل الحوارية على ثلاثة مراتب: الحوار، المحاور، التحاور.
• لم يكن ابن وهب يفصل بين العقل والبيان . • جعل المثل مقرون بالحجة. • جعل النثر صنف من أصناف الاحتجاج.	• كما انفرد طه عبد الرحمن عن نظيره ابن وهب بإضافة عناصر أخرى، فقد عرف السلم الحجاجي بقوله: هو عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال موزعة بعلاقة ترتيبية. كما ذكر ثلاثة قوانين من قوانين السلم الحجاجي: وهي قانون القلب، الخفض، قانون تبديل السلم.

خلاصة الفصل:

هذه أهم نقاط الاتفاق و الاختلاف بين الرجلين ابن وهب و طه عبد الرحمان، و قد حاولنا استيفاء جميع جوانب الدراسة، لكن قد نكون غفلنا على بعضها دون قصد منا، و لكن الغرض من هذا هو الوصول إلى نتيجة مفادها أن الرجلين يتفقان في المفاهيم و يختلفان في التسميات و تقسيم العناصر .

خاتمة

إن المتتبع للدراسات البلاغية القديمة يرى أنها تتقارب إلى حد بعيد مع ما أقرته الدراسات المعاصرة في تعاملها مع النظرية الحجاجية ، وإن لم يشيروا إلى المصطلح بعينه و لكن تخريجاتهم تحمل قدرا كبيرا من التوافق مع الطرح الحديث و عليه خلصنا إلى جملة من النتائج نجملها فيما يلي:

- ركز القدامى على بلاغة العبارة و وهو ما يتناسب مع التداولية الخطابية إذ سلك الجاحظ ، و السكاكي ، و الجرجاني ، و ابن وهب مسلكا خطايا في مؤلفاتهم ما يمكن أن يؤسس لبلاغة تداولية عربية .
- يعد الجاحظ مؤسس معالم هذا الدرس من خلال كتابه البيان والتبيين.
- أما في الدرس الحديث فقد برزت نظرية الحجاج اللغوي بشكل لافت في الدرس البلاغي المغربي المعاصر ، وقد مثلها أفضل تمثيل : محمد العمري ، عبد الله صولة ، حمادي صمود ، أبو بكر العزاوي ، طه عبد الرحمن.
- تراوح مفهوم الحجاج عند العرب في مفهومي مرادفا للجدل عند القدامى و مبحثا فلسفيا لغويا في العصر الحديث .
- إن البلاغة العربية بمختلف علومها (البيان، المعاني، البديع) تكون في جوهرها حجاجا خطايا ، و الحجاج بمعناه الخطابي يكون مرادفا للبلاغة.
- ارتباط الحجاج عند العرب بالمذهب؛ فكان للمفسرين و علماء الكلام و أصحاب العقائد -نظرات حجاجية .
- يلتقي الحجاج مع البلاغة في عدة معان هي من أسس الحجاج : إفهام المتلقي ، و إقناعه بالحجج الدامغة و الأساليب المناسبة للمقام، و استمالته والتأثير فيه.
- إن الدراسات البلاغية القديمة تتقارب إلى حد بعيد مع ما أقرته الدراسات المعاصرة في تعاملها مع الظاهرة الحجاجية .

- جاء الحجاج في التراث العربي بتسميات عدة : البيان ، الجدل ، البرهان، المجادلة الاحتجاج...و استعمل في مجالات عديدة. استفادة العرب القدامى من الحجاج عند سابقهم ، و تميّزهم عنهم باستحداث آليات وصور من تمثيل و استعارة و حجاجية القرآن الكريم و الحديث الشريف.
- ارتبط الحجاج في التراث العربي بالجدل و ظهر مرادفا له.
- انحصر الحجاج في الفكر العربي القديم في خطابة الجدل و المناظرة.
- يمكن تقسيم مشروع ابن وهب الحجاجي إلى :
- ضبطه لبعض السياقات الإقناعية للخطاب عندما ركز على تكوين المجادل باستراتيجيات إقناعية يكفل له الظفر بالتأثير و الغلبة في مواجهة الخصم.
- الإقناع المتصل بالجدل هو إقناع ناتج عن تعليل .
- اعتنى بالحجاج الخطابي ، و هو ما يؤسس لبلاغة عربية تنبثق من بلاغة العبارة .
- استند بيانه على الاستدلال العقلي من خلال دفاعه على البيان المعرفي .
- إشادته بالعقل و التنويه به و ربطه بالبيان .
- أما طه عبد الرحمن فعندما يذكر اسمه يحضر إلى أذهاننا أدواته المنطقية التي اصطنعها لنفسه فأصبح أكبر منطقة العرب في فلسفة المنطق و الحجاجيات و التداولية ، و قد ارتكز مشروعه الحجاجي على :
- التأصيل للحجاج العربي من خلال بعث التراث ونقله من مرحلة الجمود إلى مرحلة التجديد .
- ربط الحجاج باللغة الطبيعية أي بالتواصل الذي هو أصل الكلام .
- ربط الحجاج باللغة الطبيعية و بالتواصل الذي هو أصل الكلام .
- الربط بين المنطق و اللغة في محاولة لإيجاد ربط منطقي لغوي ليطوّعه في سبك نظرية تأخذ بقوة المنطق و سلاسة اللغة.

- عرف الحجاج من خلال قصدي الادعاء و الاعتراض ، و عرض أنواع الحجج وأصناف الحجاج و السلم الحجاجي .
- درس الاستعارة مؤصلا لها عند الجرجاني ، و جعل الحوارية في ثلاث مراتب (الحوار ، المحاور ، التحاور).

قائمة المصادر

والمراجع

• القرآن الكريم

أولاً: المعاجم

- 1- ابن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، القاهرة، 1399/1979، ج6.
- 2- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، (دط)، 1399هـ/1979م، ج2 .
- 3- ابن منظور، لسان العرب ، ج 2 ، مادة حجج ، دار صادر، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
- 4- أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باس عيون السود، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ/1998م، ج1.
- 5- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، مادة قنع، مجلد8.
- 6- علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تح: محمد الصديق المنشاوي دار الفضيلة، القاهرة، (دط) (دت) .
- 7- مجد الدين بن محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط،، تح: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان ط 8، 1426هـ/2005م.

ثانياً: الكتب

- 8- ابن سنان الخفاجي ، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، ط1، 1402هـ_1982م.
- 9- أبو الوليد الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج، تح: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، (دط)، (دت).
- 10- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1426/2006.
- 11- أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين الكتابة و الشعر، تح: علي محمد البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى البابي الحلبي، دار الفكر العربي، ط2، (د.ت).
- 12- أبو الحسن حازم القرطاجني، منهاج البلغاء و سراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن خوجة، الدار العربي للكتاب، تونس، ط3 2008.

- 13- أبو الحسن حازم القرطاجني، منهاج البلغاء و سراج الأدباء،تح: محمد الحبيب بن خوجة الدار العربية للكتاب تونس،2008.
- 14- أبو بكر العزاوي، الحجاج اللغوي، عالم الكتاب الحديث، الأردن،ط1،،2017.
- 15- أحمد مطلوب، المصطلحات البلاغية و تطورها، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، لبنان (دط) ، 2007 .
- 16- ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
- 17- إسحاق ابن وهب ، البرهان في وجوه البيان، تح: حنفي محمد شرف، (د.ط)، (د.ت).
- 18- آمال يوسف المغامسي، الحجاج في الحديث النبوي دراسة تداولية، الدار المتوسطة للنشر تونس، الطبعة1، 2016م.
- 19- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث ، القاهرة ، (دط) (دت) ، ج 3 .
- 20- الجاحظ، البيان والتبيين، دار و مكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1988.
- 21- جميل عبد المجيد، البلاغة الاتصال، دار غريب، القاهرة، 2000، ص143.
- 22- طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط1، 1998.
- 23- طه عبد الرحمان ، التواصل والحجاج، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط،(دط)،(دت).
- 24- طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2000.
- 25- زكريا السرتي، الحجاج في الخطاب السياسي المعاصر،عالم الكتب الحديثة، أربد، الأردن 2013.
- 26- الزمخشري، الكشف،تح: الشيخ أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، فتحي عبد الرحمان أحمد حجازي، مكتبة العبيكة، الرياض، ط1، 1998.
- 27- حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس منشورات الجامعة التونسية، المطبعة الرسمية 1981 .

- 28- حسن خميس الملخ، الحجاج رؤى نظرية و دراسات تطبيقية، عالم الكتاب الحديث الأردن، ط1، 2015.
- 29- ماجد رجب العبد سكر ، التواصل الاجتماعي أنواعه ضوابطه آثاره و معوّقاته، دراسة قرآنية موضوعية، مذكرة نيل الماجستير ، إشراف الدكتور جمال محمود محمد الهوبي الجامعة الإسلامية ، غزة، 2011
- 30- مجدي وهبة، كامل مهندس، معجم المصطلحات العربية للغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984.
- 31- مجموعة من العلماء، المعجم الوسيط ، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 1425هـ/2004م، ، باب الباء،
- 32- محمد أحمد قاسم ، محي الدين ديب، علوم البلاغة والبيان و المعاني، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ط1، 2003م.
- 33- محمد أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، (د.ط) 2002.
- 34- محمد سالم الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديدة، لبنان، ط1، 2008.
- 35- محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، دراسة تحليلية نقدية لمظام المعرفة في الثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية لبنان، 2004، ط7.
- 36- محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط4، 1992 .
- 37- محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري و تطبيقي لدراسة الخطابة العربية الخطابة في القرن الأول نموذجاً، إفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2002 .
- 38- محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل و التداول، إفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2012
- 39- محمد العيد ، النص و الخطاب و الاتصال، أكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، (دط)، 2014.

- 40- محمد حمودي، الحجاج واستراتيجيات الإقناع عند طه عبد الرحمان مقارنة استمولوجية(مقال)، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، الجزائر، عدد12، 2012.
- 41- مثنى كاظم صادق، أسلوبيية الحجاج التداولي و البلاغي، دار مكتبة عدنان، لبنان 2015، ط1.
- 42- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيتة و أساليبه، عالم الكتب الحديثة، أربد الأردن، 2011.
- 43- السكاكي، مفتاح العلوم، نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، لبنان، 1987، ط1 مرجع سابق.
- 44- عادل عبد اللطيف ، بلاغة الإقناع في المناظرة، دار الأمان، الرباط، ط2013، 1
- 45- عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج إفريقيا الشرق، المغرب، (د.ط) 2006.
- 46- عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع دراسة نظرية و تطبيقية، كنوز المعرفة، عمان، 2016.
- 47- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي بيروت، لبنان، ط2، 2007
- 48- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز، مطبعة المدني، القاهرة، دار المدني ،جدة، ط3 1992.
- 49- عباس حشاني، خطاب الحجاج و التداولية دراسة في إنتاج ابن باديس الأدبي، عالم الكتاب الحديث، الأردن.
- 50- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط1، 2004.
- 51- علي الشبعان، الحجاج والحقيقة آفاق التأويل، بحث في الإشكال و الاستراتيجيات ، دار الكتاب الجديد المتحدة ط1، 1010.
- 52- صابر حباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص صفحات للدراسة و النشر، دمشق، سوريا، الإصدار الأول 2008.

53- شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن قيم الجوزية الحنبلي ، كتاب الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، تح: بدر الدين النعساني ، القاهرة ، ط1 ، 1327 هـ ، ط1 1982.

54- شكري المبخوت، الاستدلال البلاغي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1 2010.

ثالثا: الكتب المترجمة :

55- باتريك شارل، تر: أحمد الوديني، الحجاج بين النظرية والأسلوب، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2009 .

56- فيليب بروطول، الحجاج في التواصل، تر: محمد ميشال، عبد الواحد التهامي العلمي الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة ط1، 2013م.

رابعا: المقالات والبحوث و الرسائل الجامعية

57- فاطمة مقدم، مجلة المدونة الحجاج الفلسفي التداولي صورته المناظرة الإسلامية قراءة في أصول الحوار و تحديد علم الكلام لـ: دطه عبد الرحمان، (مجلة) إشراف ناظر اسطنبول ديسمبر 2017.

58- عبد الحليم ريوقي، مجلة علمية دراسات أدبية ، يصدرها مركز البصيرة للدراسات والبحوث و الاستشارات والخدمات التعليمية، العدد 12، 2011 .

59- نور الدين بوزناشة، الحجاج في الدرس اللغوي الغربي (مجلة)، عدد 44، 2010.

60- ابتسام بن خراف، تلقي النص البلاغي عند الدكتور محمد العمري مقارنة وصفية تحليلية مجلة قراءات، مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة و مناهجها، جامعة بسكرة

خامسا: الموقع الإلكتروني:

61- www.ulum.nl

الفهرس

المحتويات	الصفحة
إهداء	
شكــــــــــــــــــــر وتقدير	
مقدمة	أ
المدخل : الحجاج و علاقته بالبلاغة و التداولية و الإقناع و التواصل	
توطئة	6
1- مفهوم الحجاج	6
أ- لغة	6
ب- اصطلاحا	8
2- علاقة الحجاج بالبلاغة و التداولية و الإقناع والتواصل	9
أ- الحجاج والبلاغة	9
تعريف البلاغة	9
لغة	9
اصطلاحا	10
علاقة الحجاج بالبلاغة	10

12	ب - الحجاج و التداولية
12	تعريف التداولية
12	لغة
12	اصطلاحا
12	علاقة الحجاج بالتداولية
14	ج- الحجاج والإقناع
14	تعريف الإقناع
14	لغة
14	اصطلاحا
15	علاقة الحجاج بالإقناع
16	د- الحجاج والتواصل
16	تعريف التواصل
16	لغة
16	اصطلاحا
12	علاقة الحجاج بالتواصل
17	المثلث الحجاجي
17	خطاطة التواصل الحجاجي

19	خلاصة
الفصل الأول : الحجاج عند العرب	
21	توطئة
22	1- مصطلحات حجاجية في البلاغة العربية
22	الاحتجاج
22	الاستدلال
23	الإلجاء
23	الاستدراج
24	مجاراة الخصم
24	2- صور من البنى الحجاجية في البلاغة
24	القياس
25	التمثيل
26	الشاهد
27	3- الحجاج في الدراسات العربية
27	أ- الحجاج في الدرس البلاغي القديم
27	عند الجاحظ
30	عند عبد القاهر الجرجاني

32	حجاجة الاستعارة والتمثيل
34	عند السكاكي
38	عند حازم القرطاجني
41	عند الزمخشري
44	ب - الحجاج في الفكر العربي الحديث
45	عند محمد العمري
47	عند أبي بكر العزاوي
50	عند عبد الله صولة
52	عند حمادي صمود
53	مرحلة القراءة النقدية
53	مرحلة الاهتمام بالحجاج
54	خلاصة الفصل
الفصل الثاني: دراسة مقارنة للحجاج	
58	توطئة
59	1- الحجاج عند ابن وهب
66	2- الحجاج عند طه عبد الرحمان

72	النماذج التواصلية للحجة
73	مراتب الحجاج
74	السلم الحجاجي
74	قوانين السلم الحجاجي
75	مفهوم الادعاء
75	مفهوم التعارض
76	المنافرة عند طه عبد الرحمان
80	3- أوجه الاتفاق والتلاقي بين مشروع ابن وهب و مشروع طه عبد الرحمان
80	أ- أوجه الاتفاق بين مشروع ابن وهب و طه عبد الرحمان
88	ب- أوجه الاختلاف و التنافر بين مشروع ابن وهب و طه عبد الرحمان
92	خلاصة الفصل
94	الخاتمة
97	ملخص البحث باللغة العربية
98	ملخص البحث باللغة الفرنسية
100	قائمة المصادر و المراجع
106	فهرس المحتويات

ملخص البحث باللغة العربية:

يعد الحجاج من أقدم المفاهيم التي تناولت بالدراسة و التحليل، فقد عرف عند العرب في موروّثهم البلاغي بمصطلحات عديدة، منها الجدل الاحتجاج المجادلة المناظرة، أما في العصر الحديث فقد أدى انفتاح العرب المعاصرين على النظريات و المناهج الغربية إلى إغناء الدرس البلاغي العربي وذلك بإعادة الاعتبار لخصوصية التراث العربي.

و قد هدفنا من خلال هذه الدراسة إلى التركيز على نظرية الحجاج في الدرس العربي القديم والدرس العربي الحديث من حيث الممارسة و التنظير، و دورهما في تطوير الدرس البلاغي العربي مبرزين طريقة معالجة كل من العرب القدامى و المحدثين لعملية الإقناع، وقد تضمن البحث مقارنة للعالميين طه عبد الرحمن و ابن وهب واقفين على أهم نقاط الاتفاق و الافتراق بينهما، من خلال كشف الصلة التي يمكن أن تنشأ بين القديم و الحديث .

ملخص باللغة الفرنسية:

Dans les temps modernes, l'ouverture des Arabes contemporains aux théories et méthodes occidentales a enrichi la leçon rhétorique arabe en réexaminant la spécificité de la langue arabe. Patrimoine arabe.

Et peut notre objectif à travers cette étude de se concentrer sur les pèlerins dans la vieille leçon arabe à parler en termes de pratique et de la théorie de la théorie arabe et la leçon, et leur rôle dans le développement de la leçon rhétorique arabe mettant en lumière comment faire face à chacun des processus ancien arabe et moderne de la persuasion, inclus la recherche par rapport à la Taha mondiale Abdul Rahman et Ibn Wahab se tiennent sur les points d'accord et de séparation les plus importants entre eux, en révélant le lien qui peut surgir entre l'ancien et le moderne